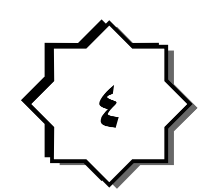
الطَّرِيقُ إِلَى اللهِ

سلسلة كتب إسلامية

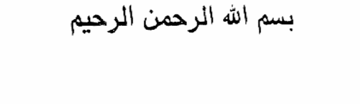


المحظورات

الداعية الإسلامى

ياســين رشــدى

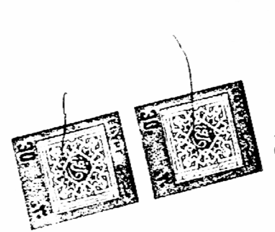




بسم الله الرحمن الرحيم

نموذج رقم ١٧

الأزهـــــر مجمـــع البحـــوث الاســـــلامية الادارة العـــــامة للبحـــوث والتـــأليف والترجمـــة	AL-AZHAR ISLAMIC RESEARCH ACADEMY GENERAL DEPARTMENT For Research, Writting & Translation



الســــلام عليـــكم ورحمـــة اللـــه وبركاته ــ وبعـــد :

فبناء على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتاب : ....المحظورات

تأليف : الشيخ/ ياسين رشدي

نفيد بأن الـــكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الاسلامية ولا مـــانع من طبعـــه على نفقتـــكم الخـــاصة .

مع التـــأكيد على ضرورة العنـــاية التامة بكتـــابة الآيات القـــرانية والأحاديث النبـــوية الشريفـــة .

واللـــــه المـــــوفق ،،،

والســـلام عليـــكم ورحمـــة اللـــه وبركاته ،،،

مدير عـــام
إدارة البحوث والتـــأليف والترجمـــة

تحريرا في ٢٢ / ٤ / ١٤١٢ هـ
الموافق ٣٠ / ١٠ / ١٩٩١م

تقديم

الْحَمْدُ للهِ قَدْ عَمَّ الْخَلائِقَ رَأْفَةً وَحَنَانَا ..

تَجْرِى الرِّيَاحُ بالْخَيْرِ مُمْطِرةً فَتُنْبتُ الأَرْضُ أَشْجَارًا وأَغْصَانا ..

وَبَهَائِمُ لِلْحَمْلِ قَدْ خُلقَتْ ، وَأُخْرَى طَوَاعِيَةً تَمْنَحُ لَحْمًا وَأَلْبَانَا ..

وَبِحَارٌ بِطَرِىِّ اللَّحْمِ زَاخِرَةٌ ، وأَنْهَارٌ تُفِيضُ عَذْبًا لِسُقْيَانا ..

وَشَمْسٌ تَجُودُ بِالدِّفْءِ مَابَقِيَت الدُّنْيَا ، وَمَا بَخلَتْ قُرُونًا وَأَزْمَانَا ..

ونُجُومٌ بِاللَّيْلِ مُشْرِقَةٌ تَهْدِى الأَنَاسِىَّ رِجَالاً وَرُكْبَانَا ..

وبُيُوتٌ جُعلَتْ لَنَا سَكَنًا ، وَجِبَالٌ صَارَتْ لِلْبَدْوِ أَكْنَانَا ..

وسَرَابِيلُ تَقِينَا الْحَرَّ نَاعِمَةٌ ، وسَرَابِيلُ تَقِينَا بَأْسَ الَّذى عَادَانَا ..

خُلِقْنَا مِنْ نُطْفَةٍ مُنِيَتْ مِنَ الأَصْلاَبِ فكَانَت الأَرْحَامُ مَأْوَانَا ..

غُذِينَا مِنْ غَيْرِ جَهْدٍ وَمَسْأَلَةٍ فَتَكَامَلَ الْخَلْقُ صُوَرًا وأَلْوَانَا ..

وَخَرَجْنَا إِلَى الدُّنْيَا وَلَمْ نَعْقِلْ ما حَوْلَنَا وَلَمْ نُبْصِرْ وَالْغَيْرُ سَمَّانا ..

حُمِلْنَا بِالسُّرُورِ والوُجُوهُ ضَاحِكَةٌ ، نَنْمُو رُوَيْدًا تَبَارَكَ الَّذى أَنْمَانَا ..

نَحْبُو وَعَيْنُ اللهِ تكْلَؤُنَا ، والأَبُ يَسْعَى ، والأُمُّ تَرْعَانَا ..

حَتَّى إِذَا الْقُوَى فِينَا قَد اكْتَمَلَتْ ، كَثُرَتْ مَعَاصِينَا وَعَظُمَتْ خَطَايَانا ..

نَسِينَا كَيْفَ كَانَ مَنْشَؤُنا ، فَكَيْفَ نَسْهُو عَنِ الَّذى بِفَضْلِه أَبْقَانَا ..

فَيَارَبِّ جَمِّلْ بِالسَّتْرِ مُدَّتَنَا ، وَحَقِّقْ بِحُسْنِ الْخِتَامِ أَمَلَنَا وَمُنَانا ..

❁❁❁

وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِله إِلاَّ اللهُ ، إِنْ شَـــاءَ أَمَاتَنَا ، وَإِنْ شَاءَ أَحْـــيَانَا ..
شَـــرَعَ لَـــنَا مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ الْمُرْسَلِيـــنَ رَحْمَـــةً وَأَمَـــانا ..
نُورٌ وَبُرْهَانٌ وَقُرْآنٌ يُتْلَى ، بِالْخَيْـــرِ قَدْ أَمَرَ ، وَعَنِ الشُّـــرُورِ نَهَانَـــا ..
لا ضَرًّا وَلا ضَرَرًا أَبَاحَ لنَا ، وَالْمَحْظُورُ مَا يَجْعَلُ الإِنْسانَ شَـــيْطَانا ..
أَرْوَاحُنَـــا سِـــرٌّ فِى الْـــوَرَى ، وَنُفُوسُـــنَا هِـــىَ أَشَـــدُّ عِـــدَانا ..
وَقُلُوبُنَـــا لَيْسَـــتْ بِأَيْـــدِينَا ، وَإِنْ أَطَعْنَـــا الْهَـــوى أَرْدَانَـــا ..
فَيَالَهفِى عَلَى نَفْسِـــى وَقَـــدْ عَصَـــيْنَا جَهْـــرًا وَسَـــاءَتْ خَفَايَانـــا ..
ذُنُوبٌ وَآثَامٌ عَظُمَتْ عَنِ اللَّمَمِ جَهْـــلاً وَعَمْـــدًا وَخَطَـــأً وَنِسْـــيَانا ..
وَحِلْمُ الْحَلِيمِ الْكَرِيمِ أَمْهَلَنَا ، وَسَتْرُ الرَّحْمَـــٰـــنِ الـــرَّحِيمِ غَطَّانَـــا ..
فَكَيْـــفَ بِيَوْمٍ لاَ رَيْبَ آتِينَـــا ، فِيـــه تُحْمَـــلُ أَجْسَـــادُنَا لِمَثْوَانَـــا ..
حُفْرَةٌ فِى الأَرْضِ ضَاقَتْ بِمَرْقَدِنَا ، وَظُلْمَةٌ تُطْفِىءُ شَـــمْسَ دُنْيَانَـــا ..
يُهَالُ التُّرَابُ بِأَيْـــدِى أَحِبَّتِنَا ، وخَفْقُ النِّعَـــالِ عَلَى الأَدِيـــمِ يَغْشَانا ..
وَأَمْوالا وَأَبْيَاتًا تَرَكْنَاهَا بِلاَ رَجْعَةٍ ، وَالصَّـــحْبُ وَالآلُ قَـــدْ تَرَكَانَـــا ..
وَيَقْظَـــةٌ فِى سُكُونِ الْقَبْرِ تَفْجَؤُنَا ، وسُؤالٌ حَاسِمٌ مِنَ الْمَلَكَيْنِ يَلْقَانَـــا ..
عَنِ الإِلَهِ وَالدِّينِ ، وَعَـــنْ ذَاكَ الَّـــذِى حَـــذَّرَنَا وَذَكَّرَنَـــا بِأُخْرَانَـــا ..
فَمَنْ كَانَتِ الأُولَى جُلَّ مَطْلَبِهِ حَارَ وَلَـــمْ يَجِـــدْ لِلجَـــوابِ لِسَـــانا ..
وَمَنْ كَانَتِ الأُخْرَى لَـــهُ سَـــعْيًا نَطَـــقَ بِالتَّوْحِيـــدِ فَصَـــاحَةً وَبَيانَـــا ..
فَيَـــارَبِّ بِالثَّـــابِتِ مِنَ الْقَـــوْلِ ثَبِّتْنَا ، وَلَقِّنَا بِفَضْلِكَ أَمْنًـــا وَرِضْـــوَانا ..

۞ ۞ ۞

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ ، رَسُولُنَا وَنَبِيُّـــنَا وَمَوْلانــــــا ..
طبُّ الْقُلُوبِ وَدَوَاؤُهَا ، وَنُورُ الأَبْصَارِ وَضِيَاؤُهَا ، وَمِنْ وَهْدَةِ الْكُفْرِ أَنْجَانا ..
كُنَّا وكانَتْ لَنَا الأَيَّامُ مَضْيعةً نَلْهُـــو وَنَلْعَبُ ، وَمَتَاعُ الغُرورِ أَعْمَانـــا ..
نَسْعَى وَرَاءَ نَعِيمٍ وَسَرَابٍ خَادِعٍ ، وَزِينَةٍ وَزَخَارِفَ تَزَيَّتْ بِهَا دُنْـــيَانا ..
وَتَفَاخُرٌ وَتَكَاثُرٌ وَتَصارُعٌ بِلا رَشَدٍ ، وَغَفْلَةٌ عَنْ خَرَائِبَ كَانَتْ لِلْغَيْرِ أَوْطَانا ..
فَـــبَزَغَ فَجْــــرُ الْوجُودِ الَّذِى كَانَ بِزَوَالِ الْجَهْـــلِ وَالظُّلْـــمِ إِيـــذَانا ..
وَأَشْرَقَتْ شَمْسُ الْحَقَائِقِ بِمَبْعَثِهِ فإِذا جَهَالاَتُ الْقَوْمِ تُحَالِفُ الأَوْثَانا ..
وَتَحزَّبَ الْكُفْرُ والْكِبْرُ فِى صَلَفٍ يُعَانِدُ آياتٍ نَزَلَتْ عَلَى الْمَأْمُونِ تِبْـــيَانا ..
الْحُرُّ وَالعَبْدُ فِى الْحُقُوقِ سَواءٌ ، وَأَكْــــرَمُ النَّـــاسِ عِنْـــدَ اللهِ أَتْقَانـــا ..
صِدْقُ الْحَدِيثِ وَصِلَةُ الأَرْحَامِ وَاجِبَةٌ ، وَبِالْعَفْوِ وَحُسْنِ الْجِوَارِ نَبِيُّنَا أَوْصَانا ..
وَكَفُّ الأَذَى عَنِ النَّاسِ مَكْرُمَةٌ ، كَذَا رَدُّ الأَمَانَةِ وَإِنْ كَانَ الْمُؤْتَمنُ خَوَّانا ..
وَإِكْرَامُ الضَّيْفِ مِنْ شِيَمِ الْكِرَامِ ، وبِالطُّعْمَةِ الْحَلاَلِ يُزِيلُ الرَّبُّ شَكْوَانا ..
وَبِرُّ الْوالِدَيْنِ وإِنْ كَانَا عَلَى كُفْرٍ ، والصَّلاةُ لِوَقْتِها تَرْفَعُ لِلسَّمَاءِ دَعْوانـــا ..
وَزَكَاةُ أَمْوَالِنَا طُهْرٌ لَهَا ونَمَاءٌ ، وَالصَّدَقَةُ خَيْرُ دَوَاءٍ يُشْفَى بِهِ مَرْضَانا ..
وإِفْشَاءُ السَّلامِ وإِطْعَامُ الطَّعَامِ إِحْسَانٌ ، وَطِيبُ الْكَلاَمِ يَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ إِخْوَانا ..
مَكَارِمُ الأَخْلاَقِ غَايَةُ شَرِيعَتِهِ ، وَبُلُوغُهَا مَيْسُورٌ إِذَا صَلَحَتْ نَوَايَانـــا ..
فَيَارَبِّ طَهِّرْ قُلُوبَنَا مِنْ كُلِّ عَائِبَةٍ ، وَأَصْلِحْ ظَوَاهِرَنَا ، وَصَحِّحْ طَوَايَانا ..
وَزَكِّ نُفُوسَنَا أَنْتَ خَيْرُ مُلْتَجَــإٍ ، وَاجْعَلِ الدُّنْـــيَا حَرْثًـــا لأُخْرَانـــا ..

وَصَلِّ عَلى مَنْ أَوْلَيْتَهُ بِمَحْمُودِ الْمَقَامِ ، وَمَنْ بِالشَّفَاعَةِ يَوْمَ الْفَزَعِ أَوْلاَنا ..
وَعَلى الصَّحْـــبِ وَالآلِ وَمَنْ تَبِعَ ، وَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ سَلاَمًـــا يَمْلأُ الأَكْوَانَا ..

أما بعد ،،

فيقول « حذيفة بن اليمان » صاحب رسول الله (ﷺ) وصاحب سرِّه : (**كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) عَنِ الْخَيْرِ ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَـــةَ أَنْ يُدْرِكَنِي**)[1] .. وقد لفت نظرى فى هذا الحديث حرص الصحابى الجليل على معرفة الشرِّ .. والمعهود أن يسأل الإنسان عن الخير الذى يمكن له أن يأتيه ، وعن الطاعات التى تدنيه من ((الله)) تبارك وتعالى .. ولكن بشىء من التفكير والتأمل تبيَّن لى بُعد نظر هذا الصحابى الجليل ، فإن الإنسان قد يغفل عن أمور يراها بسيطة ويكون فيها هلاكه .. بل وضياع طاعاته وعباداته .. والدارس لِسُنَّةِ رسول الله (ﷺ) يجد الدليل على ذلك فى كثير من أحاديثه .. والتى منها على سبيل المثال :

(**إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ ، فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا بَطْنَ وَادٍ ، فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ ، وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ ، حَتَّى حَمَلُوا ما أَنْضَجُوا به خُبْزَهُمْ .. وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذْ بِـــــهَا صَـــاحِبُهَا تُـــــهْلِكْهُ**)[2] .. و (**إِيَّـــاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللهِ طَالِبًا**)[3] ..

بل والأخطر من ذلك ما أجاب به النبىُّ (ﷺ) « معاذَ بن جبل » حين سأله قائلاً : (**يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ ؟!) فيجيبه قائلا** : (**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَـــا**

---

[1] رواه البخارى كتاب المناقب . [2] رواه أحمد والطبرانى عن سهل بن سعد (رضي الله عنه) .
[3] رواه ابن ماجه عن عائشة (رضى الله عنها) ، وصحَّحه ابن حبَّان .

مُعَاذُ ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ !!)[1] ..

ويقول (ﷺ) مُحذِّرًا : (**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سُخْطِ اللَّهِ لا يَرَى بِهَا بَأْسًا ، فَيَهْوِي بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفًا**)[2] ..

ومن ذلك نرى أن النبى (ﷺ) يُنَبِّهنا إلى خطورة اللسان .. هذا العضو الصغير حجمه ، العظيم جرمه .. الذى لا تعب فى إطلاقه ، ولا مؤنة فى تحريكه ، ومع ذلك فكل حرف منه مسطور كما قال تعالى : (مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)[3] .. وأهمية اللسان تفوق الوصف ، فهو المعبر عن كل شىء فى الوجود بالإثبات أو بالنفى ، حقًّا كان أو باطلاً .. فما من موجود أو معدوم .. خالق أو مخلوق .. معلوم أو متخيل .. مظنون أو موهوم إلا ويتناوله اللسان ، بل وجميع العلوم على الإطلاق لا تُعْرَفُ إلا باللسان .. وهو الناطق بالإسلام أو الكفر .. وهو العاصم لصاحبه ، وهو الذى يُرْدِيه .. وصدق رسول الله (ﷺ) إذ يقول : (**رَحِمَ الله عَبْدًا تَكَلَّمَ فَغَنِمَ ، أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ**)[4] .. وإذ يقول : (**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**)[5] ..

وبقدر خطورة اللسان ، هناك خطورة عضو آخر ، ألا وهو « القلب » الذى يقول الحق – تبارك وتعالى – عنه : (يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)[6] .. والذى يقول عنه نبينا (ﷺ) : (**أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً**

---

(1) رواه الترمذى ، كتاب الإيمان .. (2) رواه ابن ماجه ، كتاب الفتن .. وورد بنحوه عند الشيخين وأحمد ..
(3) سورة ق آية ١٨ . (4) رواه البيهقى فى شُعَب الإيمان . (5) رواه والبخارى ومسلم .
(6) سورة الشعراء الآيتان ٨٨ ، ٨٩ .

إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلاَ وَهِـيَ الْقَلْبُ)[1] .. ويقول : (**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ ، وَلَكِنْ يَنْظُـرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ)**[2] ..

والمقصود بـ « **القلب** » ليس ذلك العضو الصنوبرى الشكل الموجود بالصدر ، والذى يضخُّ الدم فى الجسم .. فتلك عضلة حكمها حكم أعضاء الجسم : كالكُلْيَة ، والكبد ، والطحال ، وما إلى ذلك .. ولكن المقصود هو ذلك الجـوهر الـذى لا يعرف سِرَّه إلا ((الله)) كالرُّوح والنَّفْسِ .. وهو محل العلم ومحل الجهل .. محـل الإيمان ومحل الكفر .. محل الطاعة ومحل العصيان .. ومحل النِّيَّة التى على أساسـها يُحاسب الإنسان .. وهو الْمُخَاطَبُ ، وهو الْمُعَاتَبُ ، وهو الْمُعَاقَـبُ .. وهـذا « **القلب** » حَىٌّ لا يموت بموت جسد صاحبه ..

من ذلك نعلم ونفهم قول القائل : (**الْمَرْءُ بَأَصْغَرَيْهِ : بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ**) ..

وقد رأينا – أيها القارئ الكريم – أن نُقدِّم لك فى هذا الكتاب بيانًا **بـأمراض اللسان والقلب** .. التى حذَّرَنا منها نبينا (ﷺ) .. ووصف لنا دواءها حتى نعـالج أنفسَنا بأنفسِنا ، ونحاسبها قبل أن تحاسب فى يوم يشيب فيه الولدان :

يوم يَفِرُّ المرء من أخيه .. وأمه وأبيه .. وصاحبته وبنيه ..

و((الله)) الْمُسْتَـعَان ... وعَلَيه التُّكـلان ..

ولا حول ولا قوة إلا بـ ((الله)) العَلِيِّ العَظِيم ..

ياسين رشدى

---

[1] رواه البخارى ، كتاب الإيمان .
[2] رواه مسلم ، كتاب البر والصلة .



مَحْظُورَاتُ الكَلَامِ وأمْرَاضُ اللِّسَان

تمهيد

ينقسم الكلام إلى أربعة أقسام : ما هو نفع محض .. ما هو ضرر محض .. ما فيه نفع وفيه ضرر .. ما لا نفع فيه ولا ضرر : وهو اللغو الذى لا طائل وراءه ..

وأسباب الكلام كثيرة .. منها : التودُّد والمؤانسة .. أو التسلية وتمضية الوقت .. أو رغبة المتكلم فى التباهى والتفاخر .. أو رغبته فى معرفة ما لا يعنيه باستدراج محدثه ..

وكل كلام لا يترتب على عدم قوله إثم قد يترتب على قوله إثم ، لأنه قد يدخل صاحبه فى أمور تشوبها المبالغة أو الكذب ، كما قد يقود إلى الوقوع فى الغيبة والنميمة وهما من الكبائر ..

ومن هنا نتبين فضيلة الصمت ، وصدق من قال : (**إذا كانَ الكلامُ مِنْ فِضَّةٍ فالسُّكُوتُ مِنْ ذَهَب**) .. ذلك لأنك إذا تكلمت بالكلمة ، مَلَكَتْكَ .. وإن لَم تتكلم بها ، مَلَكْتَهَا ..

فالمرء يكتسب بالصمت أمرين : سلامة الدِّين .. والفهم عن الناس .. وقد قال بعض الشيوخ : (**إذا كان لابد من الكلام فاجعله نصف الاستماع ، لأن لك لسانًا واحدًا وأُذُنَين**) ..

وإليك ما يلى :

مَحْظُورَات الكَلامَ وأمْرَاضُ اللِّسَانِ

الكلامُ فِيمَا لا يَعْنِيكَ

قال رسول الله (ﷺ) : (**مِنْ حُسْنِ إِسْلاَمِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيه**)[١] .. وقد دخل يومًا على أحد أصحابه يَعُوده فى مرضه فقال له : (**أَبْشِرْ يَا كَعْبُ**) – أى بالشفاء – فقالت أم كعب : هنيئًا لك الجنة يا كَعْبُ – ظنت أن البشرى بالجنة – فقال (ﷺ) : (**مَنْ هَذه الْمُتَأَلِّيَة عَلَى الله ؟!**)[٢] ، قال : هى أمى يا رسول الله ، فقال : (**وَمَا يُدْرِيكِ يَا أُمَّ كَعْبٍ .. لَعَلَّ كَعْبًا قَالَ مَا لاَ يَعْنِيهِ ، أَوْ مَنَعَ مَا لاَ يُغْنِيهِ**)[٣] .. وكأن الكلام فيما لا يَعنى يحجب العبد عن الجنة ، وكذلك السؤال عما لا يعنيك ، والذى قد تواجه إزاءه بأحد مواقف ثلاثة :

الأول : أن تُعَرِّض نفسك للحرج إذا لم تحصل على إجابة .

الثانى : أن تُعَرِّض المسئول للكذب فتوقعه فى الخطأ .

الثالث : أن تُعَرِّضه للإجهاد والإرهاق بحثًا عن حيلة يتجنب بها الإجابة الصريحة إن كان محافظًا على دينه عالِمًا بقول النبى (ﷺ) : (**إِنَّ فِى الْمَعَارِيضِ لَمَنْدُوحَةً عَنِ الكَذِبِ**)[٤] أى التعريض بالكلام دون التصريح حتى لا يقع فى خطيئة الكذب ..

وكل ذلك لا تحمد عاقبته .. فاشغل نفسك بأمورك .. ودع الخلق للخالق ..

---

[١] رواه الترمذى كتاب الزهد .

[٢] المتألين على الله : يعنى الذين يحكمون على الله ويقولون فلان فى الجنة وفلان فى النار .

[٣] رواه ابن أبى الدنيا عن كعب بن عُجرة .

[٤] رواه البيهقى ، كتاب الشهادات .

فُضُولُ الكَلاَم

هو الكلام الزائد عن الحاجة ، بمعنى أنك لو استطعت أن تُعبِّر عن المراد بكلمتين ، فعبَّرْت بثلاث .. كانت الكلمة الثالثة من فضول الكلام الذى لا داعى له .. وكلما كثر اللغط كثر الغلط ..

والله تبارك وتعالى يقول : (مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)[1] .. (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ)[2] .. وبقدر ما يتكلم الإنسان تمتلئ صحائفه ، فيظل فى موقف الحساب يُسأل عن كل كلمة سُطِّرَت عليه ، وما أحدثته أو تركته من أثر ! .. ومدى الصدق فيها أو الكذب ! ..

الخَوْض فى الباطل

من أمثلة الخوض فى الباطل : الكلام عن المعاصى وأهلها .. وكذلك كل كلام ينشأ عنه تحريك الشهوات ، أو إثارة الغرائز ، أو الغِيبة ، أو الاعتراض على الغير والطعن فيه ، أو ترديد الإشاعات التى تتناول الناس .. وأكثر الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضًا فى الباطل ، والقرآن يحكى قولهم يوم القيامة : (وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ)[3] .. وقد نـهانا ربنا عن الجلوس مع مثل هؤلاء ، وإلا أصابنا ما أصابـهم من عذاب بقوله تبارك وتعالى : (فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ

---

[1] سورة ق آية ١٨ . [2] سورة الانفطار الآيات من ١٠ : ١٢ . [3] سورة المدثر آية ٤٥ .

إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡ)[1] .. وليس معنى ذلك أن نكف عن الكلام تمامًا .. وإنما علينا أن نزن الكلام بميزان وضعه لنا الشيوخ ألا وهو قولهم : كل كلام لا يسخط الله ويرضى جلساءك فلا بأس أن تتكلم به ..

الْمِرَاء

« الْمِرَاء » : هو ابتغاء الخلل فى كلام الغير ملتمسًا له الخطأ .. سواء أكان ذلك من حيث اللفظ ، أو المعنى ، أم من حيث الموضوع ، حتى يمكن الطعن فى كلامه ، وإظهاره بمظهر الكاذب أو المبالغ أو المخطئ وما إلى ذلك .. والرسول (ﷺ) يقول : (**أَنَا زَعِيمٌ [2] بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّة [3] لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا ، وَبِبَيْت فِي وَسَط الْجَنَّة لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا ، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّة لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ**)[4] .. وربنا تبارك وتعالى يشير إلى هذا المرض بقوله : (أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ)[5] .. وأقل ما يُحرم منه الإنسان بالمراء هو ثواب الكلام الطيب ، إذ الكلمة الطيبة صدقة ، فعلينا أن نتجنب هذا المرض بأن نُصَدِّق المتكلم ، ونحسن الظن به .. فإذا كان الكلام باطلاً أو كذبًا نظرنا : فإن كان لا يتعلق بأمور الدين ، والسكوت عليه لا يعرضّنا للإثم كان السكوت خيرًا من الكلام .. أما إذا كان متعلقًا بأمور الدين فيجب الرد بلباقة وأدب بشرط العلم

---

[1] سورة النساء آية ١٤٠ .
[2] زعيم : ضامن وكفيل .
[3] رَبَض الجنَّة : المراد ما حول الجنة وفى أطرافها .
[4] رواه أبو داود ، كتاب الأدب .
[5] سورة الشُّورى آية ١٨ .

بالصواب ، والحرص على المودَّة ، وعدم إثارة البغضاء أو الكراهية .. ويقول « عبد الله بن عمر » (رضى الله عنهما) : (الْبِرُّ شَىْءٌ هَيِّنٌ : وَجْهٌ طَلِيقٌ .. وكلام لَيِّنٌ) ..

الْجَدَلُ

يَختلف الجدل عن الْمِرَاءِ فى أن هدفه ليس تخطئة المتكلم ، وإنما هدفه أن يَظْهَرَ المجادل بمظهر العالِم وصاحب الْحُجَّة والبيان .. والْجِدَال قد يكون بحق وقد يكون بالباطل أو بغير علم : فأما إن كان بالحق فيجب أن يكون بالْحُسْنَى لقول الله عز وجل : (وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا)[1] .. (وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ)[2] .. (وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ)[3] .. ويقول الإمام « أبو حنيفة النعمان » : (**ما نَاقَشْتُ أَحَدًا فى مَسْأَلةٍ إلا وتَمنَّيتُ أن يُظْهِرَ الله الحقَّ على لِسَانِه**) .. أما إن كان الجدال عن غير علم ، أو جَدَلاً بالباطل ، فذاك ليس هدفه إظهار الحق ، وإنما هدفه التفاخر والتباهى والانتصار على الخصم .. والدافع لذلك هو الكِبْر المهلك لصاحبه .. والله تبارك وتعالى يقول : (ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ)[4] .. ويقول : (إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ

[1] سورة البقرة آية ٨٣ . [2] سورة العَنْكَبوت آية ٤٦ . [3] سورة النَّحْل آية ١٢٥ .
[4] سورة غَافِر آية ٣٥ .

هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ)[1] ..

وخير علاج لهذا المرض أن يسكت الإنسان إذا ما اشتهى الكلام ، وألاَّ يتكلم إلاَّ إذا اشتهى السكوت .. فإنه عندئذ لن يتكلم إلا بالحق .. ولا يتعرض لفضول الكلام .. وإن أراد تصحيح فكر أو رأيٍ لأحد ، فليكن ذلك سِرًّا فقد قيل : (**النَّصِيحَةُ فِى الْعَلَنِ فَضِيحَةٌ**) ..

الْخُصُومَة

الخصومة باللسان هى اللّجاج بالكلام لاستيفاء مال ، أو حق لدى الغير ، سواء أكان ذلك بالحق أم بالباطل .. وهى نتيجة طبيعية لما سبقت الإشارة إليه من جِدَال ، ومِرَاء ، وخَوْضٍ فى الباطل .. وقد يكون الشُّحُّ هو منشأ الخصومة .. والله تبارك وتعالى يقول : (وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ)[2] .. ويقول : (وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ)[3] .. وإذا كانت الخصومة بحق ، ولم يتعرض المخاصم لِمرَاء ، أو جدال ، أو فُحْش فى الكلام ، أو إيذاء لِمَنْ يخاصم ، أو تحقير له ، أو إثارة للبغضاء والكراهية ، فهى خلاف الأَوْلَى ، إذ الأَوْلَى الصُّلْحُ ، والصلح خير .. أما إذا كانت الخصومة بالباطل ، أو كان الهدف منها العناد فهى حَرَام قطعًا ، فليس هناك أذهب للدِّين ، وأنقص للمروءة ، أو أمنع لِلَّذَّة ، وأشغل للقلب من الخصومة ..

---

[1] سورة غَافِر آية ٥٦ . [2] سورة النساء آية ١٢٨ . [3] سورة الْحَشْر آية ٩ .

والخصومة تعرض للتَّبِعَات ، فالله تبارك وتعالى لا تضره المعاصى ، ولا تنفعه الطاعات ، وقد يغفر ما يتعلق به .. أما ما يتعلق بحقوق العباد فذلك موضوع آخر ، إذ يلزم التحلل منها فى الدنيا ، وإلا تعرَّض للمُؤَاخذة عليها فى الآخرة بالأخذ من حسنات الظالِم للمظلوم ، أو الأخذ من سيئات المظلوم وطرحها على الظالِم .. ومن أشد أنواع الخصومة ظلمًا : الخصومة بغير علم ، كأن تُخَاصِم شخصًا من أجل شخص آخر ، وأنت تجهل الحقائق أو تسمع من طرف دون أن تسمع من الطرف الآخر ، فذلك بيع لآخرتك بدنيا غيرك ..

وعلاج الخصومة يكون بالعفو والصفح .. والله تبارك وتعالى يقول : ﴿ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] ، فإذا كان الله عز وجل – مع قدرته على العقاب والانتقام – غفورًا رحيمًا .. أفلا نتخلق بذلك فنعفو ونصفح مطيعين أمره فى قوله تعالى : ﴿ إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾[2] .. فالمطلوب من المظلوم أن يُبْدى خيرًا ، وأن يعفو عن الإساءة ، إذ إن العفو من المروءة .. والله لا يضيع أجر من أحسن عملا ، وهو القائل : ﴿ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾[3] .. ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾[4] ..

---

[1] سورة النُّور آية ٢٢ .   [2] سورة النساء آية ١٤٩ .   [3] سورة النَّحْلُ آية ١٢٦ .

[4] سورة الشُّورى آية ٤٣ .

الْفُحْشُ وبَذَاءَةُ اللِّسَان

« الفُحْشُ » : هو التعبير عن الأمور المستقبحة بالعبارات الصريحة .. والباعث عليه : إما الرغبة فى الإيذاء ، أو الاعتياد الناتج عن سوء التربية ، أو مخالطة أصدقاء السوء .. وقد حذرنا النبى (ﷺ) قائلا : (**إِيَّاكُمْ وَالْفُحْشَ ، فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلا التَّفَحُّشَ**)[1] .. ويقول : (**لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ ، وَلا اللَّعَّانِ ، وَلا الْفَاحِشِ ، وَلا الْبَذِيءِ**)[2] .. وحين قال له رجل : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَجْفُو [3] عَنْ أَشْيَاءَ فَعَلِّمْنِي .. قَالَ : (**اتَّقِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ الْمُسْتَسْقِي .. وَإِيَّاكَ وَالْمَخِيلَةَ** [4] ، **فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لا يُحِبُّ الْمَخِيلَةَ .. وَإِنِ امْرُؤٌ شَتَمَكَ وَعَيَّرَكَ بِأَمْرٍ يَعْلَمُهُ فِيكَ ، فَلا تُعَيِّرْهُ بِأَمْرٍ تَعْلَمُهُ فِيهِ ، فَيَكُونَ لَكَ أَجْرُهُ ، وَعَلَيْهِ إِثْمُهُ .. وَلا تَشْتُمَنَّ أَحَدًا**)[5] .. وسأله آخر قائلا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، رَجُلٌ مِنْ قَوْمِي يَشْتُمُنِي وَهُوَ دُونِي ، عَلَيَّ بَأْسٌ أَنْ أَنْتَصِرَ مِنْهُ ؟ قَالَ : (**الْمُسْتَبَّانِ شَيْطَانَانِ يَتَهَاتَرَانِ وَيَتَكَاذَبَانِ**)[6].. ويقول (ﷺ) (**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**)[7] ..

والمؤمن عفيف اللسان يَخْتَار العبارات اللبقة ، والكنايات اللطيفة .. وخير ما نتعلم منه القرآن .. فحين أراد الكلام عن الْجِمَاع عَبَّر عنه بألفاظ أخرى غاية فى

---

[1] رواه أحمد ، مسند المكثرين من الصحابة .
[2] رواه الترمذى ، كتاب البر والصلة .
[3] أجفو : أى أجهل .
[4] المخيلة : الفخر والتكبر .
[5] رواه أحمد ، مسند البصريين .
[6] رواه أحمد ، مسند الشاميين .
[7] رواه البخارى ، كتاب الإيمان .

الرُّقِىّ مثل : ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ﴾[1] .. ﴿أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾[2] .. وحين أراد التعبير عن قضاء الحاجة عبَّر عن الفعل بالمكان الذى يحدث فيه : ﴿ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآبِطِ ﴾[3].. والفقهاء حين أَلَّفُوا وصَنَّفُوا كتب الفقه كانوا حريصين جدًّا فى اختيار الألفاظ مثل قولهم فى نواقض الوضوء : (خُرُوجُ شَىْءٍ مِنْ أَحَدِ السَّبِيلَيْنِ) بدلاً من قولهم : التبوُّل والتبرُّز .. فعلينا أن نَختار أَرَقَّ الألفاظ ، وأعذب الكلمات ، ونتعود أن يكون كلامنا مهذبًا راقيًا لنكون قدوة لأبنائنا ، ومَنْ حولنا ..

اللَّعْنُ

أصل « اللعن » : الطرد والإبعاد من رحمة الله تعالى .. وقد ورد فى القرآن موجهًا لإبليس حين قال له رب العزة : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾[4].. فإذا لعن إنسان آخرَ أو اتـــهمه بأنه ملعون فكأنه حكم على الله أو فرض عليه أن يلعن ذلك الشخص .. والرسول (ﷺ) يقول : (**لا يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلاً بِالْفُسُوقِ وَلاَ يَرْمِيهِ بِالْكُفْرِ إِلاَّ ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ**)[5] .. ولا تصح اللعنة إلا بالتعميم الذى ورد فى القرآن مثل : ﴿ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾[6] .. ﴿ لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[7] .. والظلم بمعنى الشرك .. وعليه فلا يستحق اللعن إلا كافر أو

---

[1] سورة الأعْراف آية ١٨٩ . [2] ، [3] سورة المائدة آية ٦ . [4] سورة ص آية ٧٨ .

[5] رواه البخارى ، كتاب الأدب . [6] سورة البقرة آية ٨٩ . [7] سورة الأعراف آية ٤٤ .

مشرك بشرط أن يموت على ذلك .. ويقول الرسول (ﷺ) : (**إِنَّ اللَّعَّانِينَ لا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ وَلا شُفَعَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**)[1] .. فأى حرمان هذا ! .. ومقام الشهادة والشفاعة من أَجَلِّ المقامات يوم القيامة وأعلاها إذ يقول الحق تبارك وتعالى : (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا)[2] .. ويقول : (وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ)[3] .. فالصالحون يشفعون لذويهم فيلحقهم الله بـــهم .. فكيف يحرم الإنسان نفسه من هذا المقام العالى بلفظ يطلقه لسانه .. بل قد يلعن الإنسان شيئًا فترتدّ اللعنة عليه .. ويقول أبو الدرداء (رضي الله عنه) : (**مَا لَعَنَ الأَرْضَ أَحَدٌ إِلاَّ قالت : لَعَنَ اللهُ أَعْصَانَا لله عَزَّ وجَلَّ**)[4] .. والأرض لا تعصى ربـــها .. ومن المحظور أيضًا أن تدعو بالشَّرِّ على أحد .. وقد ورد فى الخبر : (**إِذَا دَعَا الرَّجُلُ على ظالمه استَوفَى حَقَّهُ ، فَإِنْ زَادَ أَصْبَحَ لِلظَّالِم لَدَيه حَقٌّ**) .. وفى الحديث القدسى : (**إِنَّكَ إِذَا ذَهبْتَ تَدْعُو عَلَى آخرَ أَنَّهُ ظَلَمَك .. وإِنَّ آخرَ يَدْعُو عَلَيْكَ أَنَّكَ ظَلَمْتَهُ .. فَإِنْ شِئْتَ اسْتَجَبْنَا لَكَ وَعَلَيْكَ .. وإِنْ شِئْتَ أَخَّرْتُكُمَا إِلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَأُوسِعُكُمَا عَفْوِى**)[5] .. والمسموح به فى حالة التعرض للظلم أن يقول المظلوم : ظلمنى حقى .. أكل مالى .. إلخ .. وليس الدعاء على الظالم ، وهو المفهوم من قوله تعالى : (لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا)[6] .. وحين أُوذِى سيدنا « نوح »

---

[1] رواه مسلم ، كتاب البر والصلة . [2] سورة النساء آية ٤١ . [3] سورة الطُّور آية ٢١ .
[4] رواه ابن أبى الدنيا كتاب ذم الكذب . [5] رواه الحاكم عن أنس (رضي الله عنه) . [6] سورة النساء آية ١٤٨ .

دعَا قائلاً ، كما حكى عنه القرآن : (فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ)[1] فكان من ثمرة هذا الدعاء المهذب ما حكاه القرآن : (فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ)[2] ..

فليكن توجُّهُنَا إلى الله وشكوانا إليه ، فإنه يسمع ويرى ..

المُزَاحُ

يُقال : إن الْمُزَاح سُمِّى مُزاحًا لأنه يُزيحُ صاحبه عن الحق ، ويقال أيضًا : إن لكل شىءِ بذورًا .. وبذور العداوة الْمُزاح .. والْمُزاح منه ما هو **مُباح** : وهو ما لا يسخط الرب ، ولا يغضب من تُمازح ، ولا يكون إلا حقًّا ، وقد قال النبى (ﷺ) : (**إِنِّي لأَمْزَحُ ولا أَقُولُ إِلاَّ حَقًّا**)[3] .. ومن الْمُزاح ما هو **محظور** : وهو ما يذهب بالوَقَارِ ، ويؤدى إلى كثرة الضحك ، والغفلة ، والبعد عن الله .. فإن كثرة الضحك تُميت القلب .. وقد خرج النبى (ﷺ) على رهط من أصحابه يضحكون ويتحدثون ، فقال : (**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً ، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا**)[4] .. ويُروى أن أحد الصالحين رأى رجلاً من إخوانه مستغرقًا فى الضحك ، فقال له : هل أتاك أنكَ تردُ جهنم ؟ قال : نعم .. فإن الله يقول : (وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا)[5] ، فقال له : وهل أتاك أنك تنجو

---

[1] سورة القمر آية ١٠ .
[2] سورة القمر الآيتان ١١ ، ١٢ .
[3] رواه الطبرانى فى المعجم الصغير .
[4] رواه البخارى فى الأدب المفرد .
[5] سورة مريم آية ٧١ .

منها ؟ قال : لا .. قال : فَفِيمَ الضَّحِكُ إذا ؟!! ..

ومن المُزاح ما يكون حرامًا ويؤدى إلى غضب الله عز وجل ، فقد قال رسول الله (ﷺ) : (**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ يُضْحِكُ بِهَا جُلَسَاءَهُ يَهْوِي بِهَا مِنْ أَبْعَدِ مِنَ الثُّرَيَّا**[1]) [2] ..

السُّخْرِيَة

« السُّخْرِيَة » هى الاستهزاء بشخص ، أو تحقيره ، أو ذكر عيوبه ونقائصه فى : كلامه ، أو فعله ، أو صورته ، أو ما يَمُتُّ إليه بصِلَة .. وقد يكون ذلك : بالقول ، أو التقليد ، أو الإشارة ، أو الكتابة ، أو الرسم (الكاريكاتير) .. وقد ورد النهى عن السُّخْرِيَة مُشَدَّدًا فى القرآن ، إذ يقول الحق تبارك وتعالى : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ)[3] .. ويُفهم من الآية أن الساخر يكون دائمًا أقل شأنًا ممن يسخر منه .. حتى وإن كان الساخر أرفع شأنًا ممن يسخر منه ، فقد هبط بسخريته ، وانخفض عنه منـــزلة عند الله ..

والسخرية إن كانت من الصورة والشكل ، فالله هو الخالق البارئ المصور الذى يقول : (هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُ)[4] .. و إن كانت السخرية

---

[1] الثُّرَيَّا : مجموعة من النجوم تبدو متقاربة .

[2] رواه أحمد باقى مسند المكثرين .

[3] سورة الحُجُرَاتُ آية ١١ .

[4] سورة آل عمران آية ٦ .

من الصفة أو الفقر ، فالله هو الذى أقام العباد فيما أراد وهو الرازق : (وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ)[1] .. وقد قال رسول الله (ﷺ) : (**لاَ تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ لأَخِيك فَيُعَافِيَهُ اللَّهُ وَيَبْتَلِيَك**)[2] ، وذلك فيمن يفرح بما وقع فيه أخاه من خطإ أو معصية ، أو بما أصابه من بلاء بدلاً من أن يدعو له .. ويقول (ﷺ) أيضًا : (**مَنْ عَيَّرَ أَخَاهُ بِذَنْبٍ قَدْ تَابَ مِنْهُ لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَعْمَلَهُ**)[3] ..

الْخُلْفُ فِى الْوَعْدِ

يقول الحق تبارك وتعالى فى كتابه مُثنيًا على سيدنا « إسماعيل » : (وَٱذۡكُرۡ فِى ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا)[4] .. ويقول آمرًا بالوفاء بالعهد : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ)[5] .. والصدق فى الوعد من علامات الإيمان والتقوى .. والخلف فى الوعد من علامات النفاق .. والرسول (ﷺ) يقول : (**ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ ، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ : مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**)[6] .. ويقول : (**أَرْبَعُ خِلالٍ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا : مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ .. وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا**)[7] ..

---

[1] سورة النَّجْم آية ٤٨ . [2] رواه الطبرانى فى المعجم الأوسط . [3] رواه الترمذى كتاب صفة القيامة.
[4] سورة مريم آية ٥٤ . [5] سورة المائدة آية ١ . [6] رواه أحمد ، باقى مسند المكثرين .
[7] رواه البخارى ، كتاب الجزية والموادعة .

لذلك نصحنا الشيوخ بعدم الإسراف فى الوعود .. وأن لا نَعِد إلا إذا كنا عازمين على الوفاء ، قادرين عليه ، وأن نلحق الوعد بكلمة رجاء مثل : (أرجو أن أفعل) .. أو نعلق الأمر بالمشيئة بقولنا : (سأفعل إن شاء الله) ، وبذلك نخرج من دائرة العــزم والتصميم على فعل ما لا نملكه ، فقد تحول الظروف دون الوفاء .. وفى هذه الحالة فلا إثم علينا ، لأن الله تبارك وتعالى يقول : (لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا)[1] ..

إِفْشَاءُ السِّرِّ

سِرُّكَ معك ، فإن أنت كـتمته فالخيار لك ، وإن أنت أفشيته فالخيار عليك .. وحديث أخيك لك فى السِّرِّ أمانة ، ولو لم يطلب منك الكتمان ، لأن الـنبى (ﷺ) يقول : (**إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ بِالْحَدِيثِ ثُمَّ الْتَفَتَ فَهِيَ أَمَانَةٌ**)[2] .. والأمانة مسئولية خطيرة يُسأل عنها الإنسان يوم القيامة ، وربنا يقول : (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)[3].. كما أن إفضاء أخيك بِسِرِّه ثقة منه فِيك .. فعليك أن تشير عليه بالصالح وبما تحبه لنفسك ، فقد قال رسول الله (ﷺ) : (**الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ**)[4] أى مؤتمن على السر وعلى الرأى الذى يشير بـه .. وإذا كان حديث أخيك لك لا يمثل سِرًّا فى نظرك ، فقد يمثل سِرًّا فى نظره ، فالذى يُقَدِّر السِّرَّ صاحبُه .. وحتى لو لم يكن سِرًّا وتحدثت به ، فقد وقعت فى فضول الكلام أو فى الخوض فى الباطل ..

---

[1] سورة البقرة آية ٢٨٦ . [2] رواه أبو داود كتاب الأدب . [3] سورة الأنفال آية ٢٧ .
[4] رواه الترمذى كتاب الأدب .

الْكَذِبُ

« الكَذِبُ » : هو الإخبار عن شيء بخلاف حقيقته .. والصِّدْق والكَذِبُ يتصارعان فى القلب حتى يُخْرِجَ أحدُهُما الآخرَ .. فالصادق من الناس هو الذى اعتاد الصِّدْق فى كلامه ، وانتصر الصدق فى قلبه على الكذب فهو يَصْدُق ، ويتحَرَّى الصِّدق فى حديثه حتى يُكْتَبَ عند الله صِدِّيقًا .. أما الذى انتصر الكذب على الصدق فى قلبه فهو يكذب ، ويتحَرَّى الكذب فى حديثه حتى يُكْتَبَ عند الله كَذَّابا .. والمؤمن لا يكذب .. **فقد سُئِلَ رسول الله** (ﷺ) : **يا نبي الله ، هل يزني المؤمن ؟! قال : قد يكون ذلك .. قِيلَ : يا رسول الله ، هل يسرق المؤمن ؟! قال : قد يكون ذلك .. قيل : يا نبي الله ، هل يكذب المؤمن ؟! قال : لا** .. ثم أتبعها (ﷺ) بقول الله تعالى : (إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ)[1] ..[2]

إذًا فقد يقع المؤمن فى بعض الكبائر ثم يتوب .. وإن كانت الكبائر تنتقص من الإيمان .. مصداقًا لقول رسول الله (ﷺ) : (**لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ .. وَلا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ .. وَلا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ .. وَلا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً**[3] **يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْه فِيهَا أَبْصَارَهُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ**)[4] .. ولكن المؤمن لا يكذب أبدًا ، وقد قال رسول الله (ﷺ) : (**كَبُرَتْ خِيَانَةً أَنْ تُحَدِّثَ أَخَاكَ حَدِيثًا هُوَ لَكَ بِهِ مُصَدِّقٌ وَأَنْتَ لَهُ بِهِ كَاذِبٌ**)[5] .. والكذب درجات .. وأشد

---

[1] سورة النحل آية ١٠٥ .
[2] رواه الخرائطىّ كتاب مساوئ الأخلاق .
[3] النهبة : المال المأخوذ على وجه القهر والعلانية .
[4] رواه البخارى كتاب الحدود .
[5] رواه أبو داود كتاب الأدب .

أنواعه : الكذب على الله ، أو الكذب على رسول الله .. ومثال الكذب على الله : الكذب فى الرؤيا ، لأن الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة .. ومثال الكذب على رسول الله (ﷺ) : نسبة أحاديث إليه لم تصدر عنه .. ونبينا (ﷺ) يقول : (**مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ !! وَلَنْ يَفْعَلَ**)[1] .. ويقول : (**أَفْرَى الْفِرَى مَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ ، وَأَفْرَى الْفِرَى مَنْ أَرَى عَيْنَيْهِ فِي النَّوْمِ مَا لَمْ تَرَيَا ، وَمَنْ غَيَّرَ تُخُومَ**[2] **الأَرْضِ**)[3] .. ومن أخطر أنواع الكذب أيضا شهادة الزور .. فقد قال رسول الله (ﷺ) لأصحابه يومًا : **أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ؟ قالوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّه .. قَالَ : الإِشْرَاكُ بِاللَّه ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ .. وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ فَقَالَ : أَلا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ ، أَلا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ .. فَمَا زَالَ يَقُولُهَا حَتَّى قالوا : لا يَسْكُتُ !!** [4] ..

وأما « **الكذب فى الْيَمين** » فهو أنواع .. وله أحكامه :

الأول « **يَمِينُ اللَّغْوِ** » : وهو الذى يأتى على اللِّسان مع الكلام دون قصد الْحَلِف .. مثل قول الرجل لضيفه : (بالله تأكل) .. (والله تجلس) .. إلخ .. وفيه يقول الحق تبارك وتعالى : (لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ)[5] .. ولَغْوُ الْيمين ، وإن كان الإنسان غير مؤاخذ به ، ولكن عليه أن يتجنبه لأنه قد يؤدى به إلى الْحَلِف الكاذب .. كما أن كثرة الْحَلِف تفقد الناس ثقتهم بالحالف .. وربنا تبارك وتعالى يقول : (وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ)[6] ..

---

[1] رواه البخارى كتاب التعبير . [2] تخوم : حدود . [3] رواه أحمد مسند المكثرين من الصحابة .
[4] رواه البخارى كتاب الأدب . [5] سورة البقرة آية ٢٢٥ . [6] سورة القلم آية ١٠ .

الثانى « **يَمِينُ الْكَفَّارَةِ** » : وهو أن يحلف الإنسان على أن يفعل شيئًا أو على ألاّ يفعل شيئًا فى المستقبل .. ثم يظهر له أن قد أخطأ أو تَسَرَّع ، ويريد أن يعود فى عزمه فله أن يُكَفِّرَ عن يمينه ويأتى بالذى هو خير ، كما قال رسول الله (ﷺ) : (**وَاللَّه ، إنْ شَاءَ اللَّهُ ، لا أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا إلاَّ أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَتَحَلَّلْتُهَا**)[1] ، و« كفارة اليمين » هى كما جاءت فى قول الله تعالى : (فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٍۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ)[2] .. مع العلم بأن الصيام فى هذه الحالة لا يجوز للقادر على الإطعام أو الكسوة ..

الثالث « **اليَمِينُ الغَمُوسُ** » : وسُمى كذلك لأنه يَغْمِس صاحبه فى النار .. وهو أن يحلف الشخص على أمر مضى متعمدًا الكذب .. وهذا اليمين لا كفارة له إلا التوبة ، وإصلاح ما أفسده اليمين : كضياع الحقوق ، وأحكام القضاء المترتبة على هذا اليمين الكاذب ..

هذا .. وحرمة الكذب تتفاوت بتفاوت الآثار المترتبة عليه .. وقد يبدو للبعض أن كذبهم لا يترتب عليه آثار ضارة ، وهم واهمون فى ذلك .. فالكذب كذب .. وما من كذب إلاّ وله أثر ضار .. **فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ قَالَ : جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ** (ﷺ) **بَيْتَنَا وَأَنَا صَبِىٌّ صَغِيرٌ ، فَذَهَبْتُ أَلْعَبُ ، فَقَالَتْ لِى أُمِّى : يَا عَبْدَ اللَّهِ ، تَعَالَ أُعْطِيكَ .. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ** (ﷺ) : (**مَا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيَهُ ؟**) .. **قَالَتْ : أَرَدْتُ**

---

[1] رواه البخارى كتاب الأيمان والنذور .

[2] سورة المائدة آية ٨٩ .

أَنْ أُعْطِيَهُ تَمْرًا .. **قَالَ** : (**أَمَا إِنَّكِ لَوْ لَمْ تَفعَلِي لَكُتِبَتْ عَلَيْكِ كِذْبَةً**)[1] ..

ولما كان الإنسان قد يتعرض لأسئلة لا يريد الإجابة عنها أو لأمور لا يريد التصريح بـــها فقد أوجدت السُّـــنَّةُ لذلك مخرجًا بقول النبى (ﷺ) : (**إِنَّ فى الْمَعَارِيضِ لَمَنْدُوحَةً عَنِ الْكَذِبِ**)[2] ، والمعاريض هى أن تُعَرِّض بالكلام بدلا من أن تُصَرِّح به بشرط أن يكون صدقًا ، وأن تكون هناك ضرورة لذلك ، لأنه لو استوى التعريض والتصريح امتنع التعريض .. ومثال التعريض : ما حدث فى قصة الهجرة ، فحين كان الناس يسألون أبا بكر (رضي الله عنه) عن النبى (ﷺ) – وهما فى طريقهما إلى المدينة – : (**يَا أَبَا بَكْرٍ ، مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكَ ؟**) .. كان يجيب قائلا : (**هَذَا الرَّجُلُ يَهْدِينِي السَّبِيلَ**)[3] ، فكان (رضي الله عنه) يَعْنِي سَبِيلَ الْخَيْرِ ، والناس يعتقدون أَنَّهُ إِنَّمَا يَعْنِي طريق السفر ..

وهناك **من الكذب ما هو مُرَخَّص فيه** ، كما أنه يصلح فى بعض مواطن لا يصلح فيها الصدق .. فعَنْ أُمِّ كُلْثُومٍ بِنْتِ عُقْبَةَ (رضى الله عنها) أَنَّها قَالَتْ : (**مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه (ﷺ) رَخَّصَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْكَذِبِ إِلاَّ فِي ثَلاث : الرَّجُلِ يَقُولُ الْقَوْلَ يُرِيدُ بِهِ الإِصْلاَحَ .. وَالرَّجُلِ يَقُولُ الْقَوْلَ فِي الْحَرْبِ .. وَالرَّجُلِ يُحَدِّثُ امْرَأَتَهُ ، وَالْمَرْأَة تُحَدِّثُ زَوْجَهَا**)[4] .. كما ورد عن النبى (ﷺ) قوله : (**لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَنْمِي خَيْرًا ، أَوْ يَقُولُ خَيْرًا**)[5] ..

وقد يكون الكذب واجبًا إذا ما أَدَّى الصِّدْق إلى سفك الدماء ، أو هتك

---

(1) رواه البيهقى كتاب الشهادات . (2) رواه البيهقى كتاب الشهادات . (3) رواه البخارى كتاب المناقب.
(4) رواه أحمد مسند القبائل . (5) رواه البخارى كتاب الصلح .

الأَعْراض ، أو سلب الأموال بغير حق .. وفى كل الأحوال علينا أن نتنبَّه لنصيحة سيد الخلق (ﷺ) حين يقول : (**عَلَيْكُمْ بالصِّدْق ، فَإنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبرِّ ، وَإنَّ الْبرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّة ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا .. وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا**)[١] ..

الْغِيبَة

رَوَى أبو هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّه (ﷺ) قَالَ : (**أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ ؟ قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ .. قِيلَ : أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ ؟! قَالَ : إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ**)[٢] .. و« **الْبُهْتَانُ** » أعظم الكذب .. ويُشَبِّهُ ربُّنا المغتاب بآكل الميتة فى قوله تعالى : (وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ)[٣] .. ويشرح البهتان بقوله : (وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا)[٤] .. ويُنذر النبى (ﷺ) ويُحَذِّر المغتابين فيقول : (**يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الإِيمَانُ قَلْبَهُ ، لا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ ، وَلا**

---

[١] رواه مسلم كتاب البر والصلة . [٢] رواه مسلم كتاب البر والصلة . [٣] سورة الحجرات آية ١٢ .
[٤] سورة الأحزاب آية ٥٨ .

تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ)[1] ..

و« الْغِيبَةُ » يستوى فيها : التصريح ، والتعريض ، والإيماء ، والإشارة ، والحركة ، والتقليد ، والْغَمْزُ ، واللَّمْزُ ، بحيث يُفْهَم مقصودُ المتكلم ، كما يستوى فيها الحى والميت .. وقد تكون الغيبة بالكتابة أيضا .. وهؤلاء لا يكتفون بما تسطره عليهم الملائكة ، وإنما يسطرون هم على أنفسهم ..

وكما يرتبط البهتان بالغيبة يرتبط بـها الإفك .. و« **الإفك** » هو أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء ، وأَسْوَأُه وأقبحُه وأفحشُه .. وسُمّى الكذب إفكًا ، لأنه قولٌ مأفوك عن وجهه ، أى مقلوب مصروف عن الحقيقة ، من « أَفَكَ الشىءَ » أى قلَبَهُ وصرفه عن وجهه .. و« **إشاعة الإفك** » : هى أن تقول عن شخص ما نُقل إليك عنه دون أن تتيقن من صدقه ، وإن كنت أمينًا فى النقل .. وجاء مثالها فى قول الله عز وجل : (إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ)[2] .. ويبين الله تبارك وتعالى ما يجب على المسلم عند سماعه شيئًا عن غيره فيقول : (لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ)[3] ..

وقد يُلبس الشيطان الغيبة ثوب الحق فتبدو سليمة من حيث الشكل ، ويقع صاحبها فى المحظور .. ومن أمثلة ذلك :

---

[1] رواه أحمد مسند البصريين . [2] سورة النور آية ١٥ . [3] سورة النور آية ١٢ .

١ – الاغتياب تحت مظلة الكاره لِلْمُنْكَر : وإن كان ذلك حقًا فالواجب أن يتم النصح بلباقة وفى السر .. والدعاء للعاصى بالهداية أولى من فضحه .

٢ – الاغتياب تحت مظلَّة الغضب ((لله)) أن تُنْتَهَك مَحارِمُه .

٣ – الاغتياب تحت مظلَّة الرحمة بمن تغتابه .. والحرص عليه .

٤ – الاغتياب تحت مظلة التعجب ، والاندهاش ، وعدم التصديق .

هذا .. وتتضح خطورة الغيبة من قول النبى (ﷺ) : (**مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ** [1] **مِنْهَا ، فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلا دِرْهَمٌ ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ**)[2] .. فيفاجأ الذى اغتاب بتبِعَاتِ الغِيبة ، فإذا به مُعَرَّضٍ لجَهَنَّم نتيجة كلام ألقاه لسانهُ .. وليس لأنه زنى ، أو قتل ، أو سرق .. بل قد يُؤخذ ثواب صلاته ، وصيامه ، وحَجِّه ، فيضاف إلى ميزان مَن اغتابه ، لتعويضه عما أصابه من لسان صاحبه ، ويتحمل هو نتيجة معاصى وفسق مَن اغتابه ، فيدخل الذى اغتاب النار بسيئاتٍ لم يرتكبها ، ويدخل مَن اغتابه الجنة بأعمال لم يعملها .. وهذا أمر لو تأملـه الإنسان ما نطق بكلمة سيئة فى حق أحد ..

وكثير من العلماء لا يرون العبادة الحقة فى كثرة الصلاة والصيام ، إذ ليس فيها مشقَّة ، وقد يقوم بـها البَرُّ والفاجر – وخصوصًا إذا ما اعتادها من الصِّغَر – وإنما يرونـها فى الكَفِّ عن أعراض الناس .. وهذا هو التعبُّدُ الحقيقىُّ الذى يحتاج إلى جهاد النفس ..

---

[1] يتحلله : يطلب منه أن يسامحه ويعفو عنه . [2] رواه البخارى كتاب الرقاق .

بَواعِثُ الغِيــبَةِ وعِلاَجُها :

لكى نعالج هذا المرض الخطير الذى يُهلك صاحبه لابد أن نفتش عن الباعث والذى لا يخرج عن الآتى :

١- إشفاء الغيظ الناتج عن الحقد والغضب .

٢- موافقة الجلساء ومجاملتهم .

٣- الاستهزاء والسخرية .

٤- تزكية النفس بتنقيص الغير .

٥- الحسد الذى يؤدى إلى إظهار عيوب المحسود حتى يتوقف الناس عن مدحه أو الإعجاب به .

٦- تمضية الوقت والتسلية .

وبمعرفة الباعث على الغِيبة يسهل علينا **العلاج** ، الذى يتمثل فى الآتى :

١ - العِلْم بغضب ((الله)) على المغتاب ، وأنه تبارك وتعالى يعاقبه على الغِيبة ، وأن قبول توبته غير مضمون :

إذ إن الغِيبة قد تكون أشد من الزِّنا الذى هو حق متعلق بالله .. فقد يتوب الزانى ويقبل الله توبته ، بل ويبدل سيئاته حسنات .. أما المغتاب إن تاب فلابد لقبول التوبة من مسامحة مَنْ وقع فى عِرْضِهِ له .. والنبى (ﷺ) يقول : (**كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ : دَمُهُ ، وَمَالُهُ ، وَعِرْضُهُ**) [1] .. و« **العِرْض** » : هو موضع المدح

---

[1] رواه مسلم كتاب البر والصلة .

والذم من الإنسان .. فإن ذممت أحدًا فقد وقعت فى عِرضه ..

٢ – الانشغال بعيوب النفس عن عيوب الغير :

وعندئذ لن يكون هناك متسع للغيبة .. ورحم الله امرءًا شغلته عيوبه عن عيوب الناس ..

٣ – البحث فى النفس عن الباعث على الغيبة ومحاولة دفعه :

فإن كان الباعث هو إشفاء الغيظ ، وإنفاذ الغضب ، فليحذر المغتاب أن ينفذ الله غَضَبَه فيه ، وليعلم أن الله يَرْحَمُ مِنْ عباده الرُّحَمَاءَ ، وعليه بكظم غيظه ، والعفو ، والصفح ، وليتذكر قول الله سبحانه وتعالى : (وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ)[1] .. وقوله : (وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ)[2] .. وإن كان الباعث هو مجاملة الجلساء فليعلم أنه شريك فى الإثم ولو لم يشترك فى الغيبة .. وليتنبه لقول النبى (ﷺ) : (**مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللَّه بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ**)[3].. وعليه أن يردَّ غيبة الْمُسْلم ، ليفوز بما بشَّر به النبى (ﷺ) فى قوله : (**مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَة**)[4].. أما إذا لم يستطع رد غيبة المسلم لسبب أو لآخر ، فعليه القيام من هذا المجلس التزامًا بقول الله تعالى : (فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ)[5] .. أما إذا كان

---

[1] سورة النور آية ٢٢ . [2] سورة آل عمران آية ١٣٤ . [3] رواه الترمذى كتاب الزهد .

[4] رواه الترمذى كتاب البر والصلة . [5] سورة النساء آية ١٤٠ .

الباعث على الغِيبة هو تزكية النفس عند الناس بتنقيص الغير .. فهو واهم فى ذلك وليسأل نفسَه أولاً : هل زكاها عند الله ؟! : (قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا)[1].. كما أن تزكية النفس عند الناس من الأمور المحظورة ، والله تبارك وتعالى يشير إلى ذلك بقوله : (أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً ۝ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا)[2] .. وأما إن كان الباعث على الغِيبة هو الحسد فقد جمع المغتاب لنفسه عذاب الدنيا والآخرة .. فالحاسد مغلول مهموم فى الدنيا معاقب يوم القيامة .. ونبينا (ﷺ) يقول : (**إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ ، فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ**)[3] ..

الأَعْذَارُ المُبِيحَةُ لِلْغِيــبَةِ :

هناك أنواع من الغيبة يعفو الله عنها لضرورتـــها ، مع الأخذ فى الاعتبار أن الله عليم بذات الصدور ، وأن العبرة بالنية .. وإليك أمثلة ذلك :

١- التَّظَلُّم :

إذ يُباح للمتظلم أن يبين الظلم الذى وقع عليه حتى يصل إليه حقه ، ومما يؤكد ذلك قول النبى (ﷺ) : (**إِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالاً**)[4] .. وقوله : (**لَيُّ الْوَاجِدِ يُحِلُّ عُقُوبَتَهُ وَعِرْضَهُ**)[5] .. و« لَىّ الْوَاجِدِ » : هو مماطلة الغنى فى أداء حق الغير .. فإن اشتكى المظلوم إلى القاضى فقد وقع فى الغيبة ، ولكنها غيبة معفو عنها لضرورتِها .

---

(1) سورة الشمس الآيتان ٩ ، ١٠ . (2) سورة النساء الآيتان ٤٩ ، ٥٠ . (3) رواه أبو داود كتاب الأدب.
(4) رواه البخارى كتاب الهبة . (5) رواه البخارى كتاب الاستقراض .

٢- تغيير المنكر ورد العاصى إلى نـــهج الصلاح بالتصريح :

إذا لم يكن من ذلك بُدٌّ - بشرط صدق النية وعدم المغالاة - كذكر الأم عيوب أولادها لأبيهم لإصلاح شأنــــهم .

٣- الاستفتاء لمعرفة الصواب :

كما حدث حين ذهبت « هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَة » إلى النبى (ﷺ) تستفتيه فقالت : (**إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ مِسِّيكٌ**)[١] فهى تشكو إمساكَ زوجها ، وتسأل هل عليها إثم إن أخذت من ماله دون علمه .

٤- التعريف بالشخص :

بذكر عيب قد اشتهر به مثل : الأعور ، الأسود ، الأعرج ، إن كنت لا تقصد التشهير وكان المعيوب لا يَكْرَه أن يذكر به كما جاء فى قوله عز وجل : (عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ)[٢] .

٥- تنبيه الناس وتذكيرهم :

حتى لا يقعوا فيما وقع فيه من تغتابه بشرط أن يكون مجاهرًا بالمعصية مفتخرًا بفجوره ، كما حكى القرآن عن قارون وأمثاله .

٦- الأمانة فى إبداء الرأى :

إذ إن الْمُسْتَشار مُؤْتَمن ، فإذا دعت الضرورة للتصريح بعيوب من يُؤخذ رأيك فيه ، جاز ذلك : كأخذ الرأى فى الخاطب لفتاة ، أو طالب المشاركة فى تجارة ..

---

[١] رواه البخارى كتاب المظالِم والغصب . [٢] سورة عبس الآيتان ١، ٢ .

وما إلى ذلك .

٧- التحذير لمن يهمك أمره :

كما حدث فى قصة « يُوسُف » التى حكى عنها القرآن الكريم : (قَالَ يَـٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ)[1] .

وفى كل الأحوال على المغتاب أن يستغفر الله ، ويتوب إليه ، ويحاول أن يدعو لمن وقع فى عِرْضه ، ويتصدق عنه إذا كان طَلَبُ السماح منه متعذِّرًا : لوفاته ، أو خشية نشوء العداوة ، أو البغضاء ، أو الوقيعة بين الناس .. أما إذا كانت المصارحة وطلب العفو مُمْكِنَةً فإنـــها تكون واجبة حتى تَبْرَأ الذمة قبل أن يأتى يوم ينتصف الله فيه للمظلوم من الظالِم بالأخذ من حسنات الظالِم للمظلوم حتى إذا فرغت حسناته ، أخذ من سيئات المظلوم فَطُرِحت على الظالِم ثم طُرِح فى النار والعياذ بالله ..

الغِيــبَةُ بِالقَلْبِ :

وهى الظن السَّـــيِّىء بالغير .. و« الظن » : هو ميل القلب إلى اعتقاد الشىء .. فكما يحرم عليك أن تذكر أخاك للناس بسوء ، يَحْرُم عليك أن تذكره لنفسك بسوء .. وتكمن الخطورة فى أنك تُحاسَب على هذا الظن السَّـــيِّىء ولو لم تحرك به لسانك .. والظن يؤدى بالضرورة إلى إثم أكبر ، إذ يترتب عليه التجسس لإثبات ما اعتقده القلب ، وهو محرمٌ ومُؤَثِّمٌ بنص القرآن : (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا

---

[1] سورة يوسف آية ٥ .

مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًا)[1] .. وهكذا يشعرنا الترتيب فى الآية أن الظن يقود إلى التجسس ، ثم إلى الغيبة .. كما يتبين من الآية أن **الظن نوعان** :

« **ظَنُّ السُّوءِ** » : وهو ما أشار إليه القرآن بقوله : (بَلۡ ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهۡلِيهِمۡ أَبَدٗا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمۡ وَظَنَنتُمۡ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ وَكُنتُمۡ قَوۡمَۢا بُورٗا)[2] ..

« **ظَنُّ الْخَيْرِ** » : وهو ما أشار إليه القرآن فى قوله : (لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ)[3] ..

والشيطان هو الذى يزين ظن السوء فى القلب ، ولا شك أن الشيطان هو أفسق الفُسَّاق ، إذ يحكى عنه القرآن فيقول : (فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ)[4] .. ومن هنا كان على الإنسان أن يسأل نفسه إذا نشأ ظن السوء فى قلبه : مَن الذى ألقى فيه هذا الظن ؟! إنه الشيطان لا محالة .. فيرجع إلى قول الله عز وجل : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ)[6] .. فيرجع عن ظنه السَّيِّىء ، ويظن الخير بأخيه ، فيطرد ظنُّ الخير ظنَّ السوء من القلب .. وعليه أن يستغفر ، ويتوب إلى الله ، ويدعو لأخيه بخير ، إذ نادرًا ما يصادف الظن حقيقة ويقينًا .. والنبى (ﷺ) يحذرنا من

---

[1] سورة الحجرات آية ١٢ . [2] سورة الفتح آية ١٢ . [3] سورة النور آية ١٢ .
[4] سورة الكهف آية ٥٠ . [6] سورة الحجرات آية ٦ .

الظنِّ فيقول : (**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ**)[1] .. وربنا تبارك وتعالى يقول : (إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)[2] ..

النَّمِيمَة

هى نقل كلام إنسان عن إنسان آخر إلى ذلك الذى قيل عنه الكلام .. وقد عَرَّفَها بعض العلماء بقولهم : « النميمة » إفشاء السِّرِّ ، وكشف السَّتْر عن كل ما يُكره كشفه .. ولا يشترط أن تكون بالتصريح فقد تكون : بالتعريض ، أو الإشارة ، أو الإيماء ، أو الكتابة .. وسواء أكان المنقول عيبًا أو نقصًا أم لم يكن كذلك مادام صاحبُه قد كَرِهَ كَشْفَه .. إلاّ أن يكون فى النقل مصلحة عامة للمسلمين ، أو درء لمفسدة .. والنميمة أشدُّ خطرًا من الغِيبة لأنـــها توقع بين الناس العداوة ، والبغضاء ، وتقطع الأرحام ، وتخرب البيوت .. لذلك حذر النبى (ﷺ) ونبَّه فقال : (**لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ**)[3] .. وقال : (**أَلا أُخْبِرُكُمْ بِخِيَارِكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّه ، قَالَ : الَّذِينَ إِذَا رُءُوا ذُكِرَ اللَّهُ تَعَالَى .. ثُمَّ قَالَ : أَلا أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمُ ؟ الْمَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ ، الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الأَحِبَّةِ ، الْبَاغُونَ لِلْــبُرَآءِ الْعَنَتَ**[4])[5] ..

وقد ورد ذم النميمة بأبشع صورة فى قوله تعالى : (وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ

---

[1] رواه البخارى كتاب الأدب . [2] سورة النحل آية ٧٤ . [3] رواه مسلم كتاب الإيمان .

[4] البرآء : جمع برئ وهو البعيد عن التهم .. والعنت : المشقة والفساد والهلاك والإثم والغلط والزنـــا ، والحديث يحتمل كلها .

[5] رواه أحمد مسند القبائل .

﴿ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ۝ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝ عُتُلِّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴾[1] .. وقد فسر بعض العلماء كلمة « **زَنِيم** » بأنه ولد الزِّنَا ، وقالوا : لا يَمشى بالنميمة إلا ولدُ الزِّنَا .. كما فسروا قوله تعالى : ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴾[2] بأنها إشارة إلى حملها الحديث بين الناس ، ومشيها بالنميمة التى تشتعل عليها نارًا يوم القيامة .. وكذلك فسروا الخيانة التى جاء ذكرها فى قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا ﴾[3] فسروها بالنميمة ، إذ كانتا تنقلان أخبار زوجيهما إلى الكفار ..

والنمام يمشى بالنميمة لواحد من ثلاثة أسباب :

١- إرادة السوء بمن نقل عنه الكلام .

٢- إظهار الحب والحرص على مصلحة من نقل إليه .

٣- الوقوع فى فضول الكلام ، والخوض فى الباطل من أجل التسلية وتمضية الوقت .

وغالبا ما تجتمع فى النمام صفات عديدة مذمومة مثل : الكذب ، والخيانة ، والخديعة ، والغدر ، والغِلّ ، والْحَسَد ، والْحِقْد ، والغِيبة ، والإفساد بين الناس ، وقطع ما أمر الله به أن يوصل ..

وعلى ذلك أوجب العلماء على مَنْ يُنْقَلُ إليه كلامُ النَّمَّام عدة أمور :

---

[1] سورة القلم الآيات من ١٠ : ١٣ . [2] سورة المسد آية ٤ . [3] سورة التحريم آية ١٠ .

١- ألاّ يُصَدِّق النمام لأنه فاسق مردود الشهادة .

٢- أن ينهاه عن ذلك ، ويسكته ، ولا يستمع إليه .

٣- أن يبغضه فى الله ، لأن الله يبغضه .

٤- أن يحسن الظن بمن نقل النمام عنه الكلام ، ولا يُسيء الظن به .

٥- ألاّ يحمله كلام النمام على التجسس تحريًا للحقيقة .

٦- ألاّ ينقل ما نمِيَ إليه لأحد وإلاّ كان نَمَّامًا .

٧- ألاّ يستفزه كلام النمام ، فيقع فى عِرْض من نقل عنه الكلام .

وقديما قالوا : (**مَنْ نَقَلَ إِلَيْكَ نَقَلَ عَنْكَ**) .. ولذلك غالبًا ما يقع النَّمَّام فى شَرٍّ أكبر فيصبح ذا وجهين أو لسانين ، فيأتى هؤلاء بوجه ، وهؤلاء بوجه ، ورسول الله (ﷺ) يقول : (**مَنْ كَانَ لَهُ وَجْهَانِ فِي الدُّنْيَا كَانَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِسَانَانِ مِنْ نَارٍ**)[1] .. أما إذا كانت نميمة النمام لذى سلطان .. فإنها تُسمَّى : سِعَايَة (وِشَايَة) ، وهى أشد أنواع النميمة حُرْمَة وإثْمًا ، لأن ما يقدر عليه ذو السلطان من بطش وانتقام لا يقدر عليه غيره ..

لذلك كله وجب على كل مسلم أن يوقف كلام النمام منذ البداية ، فإن لم يستطع ترك له المكان .. كما يجب العلم بأن ستر المسلم واجب فى كل الأحوال حتى ولو كان على معصية - ما لم يجهر بها - وأن الكلام أمانة ، وما تسمعه أمانة ، فلا تكن من الخائنين للأمانة ..

---

[1] رواه أبو داود كتاب الأدب .

السُّـــؤَال

كان رسول الله (ﷺ) يَنْهَى عَنْ : (**قِيلَ وَقَالَ ، وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ ، وَإِضَاعَةِ الْمَالِ**)[1] .. و« كثرة السؤال » توقع الإنسان فى شرور هو فى غِنًى عنها .. ومن كثرة ما شدَّد رسول الله (ﷺ) فى النهى عن السؤال كان الصحابة (رضي الله عنهم) يتحرَّج أحدهم أن يسأل أحدًا أن يناوله سَوْطَه إذا سقط منه وهو على فرسه ، فكان ينــزل هو ويتناوله بنفسه .. وكانوا يتحرجون من السؤال حتى عن الطريق ..

وقد نَبَّه العلماء على أن « **السؤال فى أمر الدِّين** » له آداب .. فمنه ما هو واجب ، ومنه ما هو مباح ، ومنه ما هو محظور .. « فالواجب » : أن تسأل عن العبادات التى فرضت عليك ، وكيفية أدائها ، وأن تسأل عن الحلال والحرام .. و« المحظور » : هو السؤال عن : أفعال الله ، وعرش الله ، وصفات الله ، وكيفية اتصافه بـــها ، وما إلى ذلك من أمور لا يصحُّ الخوض فيها .. وقد سُئل « الإمام مَالك » ذات يوم وهو يجلس فى مسجد النبى (ﷺ) عن استواء الله على العرش فقال : (**الاسْتِوَاءُ غيرُ مجهولٍ .. والكيفُ غيرُ معقولٍ .. والإيمانُ بِهِ واجبٌ .. والسؤالُ عنه بِدْعَةٌ**)[2] .. ثم أمر بطرد السائل من المسجد حتى لا يثير فِتْنة .. فالله تبارك وتعالى مُنَزَّه عن التكييف والتشبيه والتحديد .. وقد سكت الله تبارك وتعالى عن أشياء رحمة بنا .. ونبينا (ﷺ) يقول : (**إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا : مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرَّمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَحُرِّمَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ**)[3] .. فإن

---

[1] البخارى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة . [2] تفسير القرطبى . [3] رواه مسلم كتاب الفضائل .

أردت أن تسأل عن أمر دينك فاسأل أهل الذكر : أى المتخصصين .. واسأل عن الحلال والحرام وما يجب عليك وما لا يصحُّ منك ، واسأل عن العبادات والطاعات حتى تؤديها كما هو مطلوب منك .. ولا تسأل عن القضاء والقدر أو الأمور الغيبية .. أو عن أمور سكت الله عنها .. واعلم أن الله تبارك وتعالى أراد بك وأراد منك ، فما أراده منك بيَّنه لك ، وما أراده بك أخفاه عنك ، فلا تشغل نفسك بما أراده الله بك عما أراده منك .. وقد جاء رجل إلى رسول الله (ﷺ) فسأله : مَتَى السَّاعَةُ ؟ .. فأجابه النبى (ﷺ) قائلا : (**وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا ؟!**)[1] ..

فَحْوَى الْكَلاَم

وهو ما تضمنه الكلام من معنى قد لا يبدو من ظاهره .. وهناك أمور خطيرة يقع فيها الإنسان بفحوى كلامه دون أن يقصد أو يدرى .. وإليك أمثلة لذلك :

يروى أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِيِّ (ﷺ) : (**مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ**) ، **فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ** (ﷺ) : **جَعَلْتَنِي لِلَّه عَدْلاً !! بَلْ** : (**مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ**)[2] .. ويقول (ﷺ) : **لا تَقُولُوا** : (**مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ فُلانٌ**) ، **وَلَكِنْ قُولُوا** : (**مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فُلانٌ**) [3] ..

والواو هذه كأنـــها واو شِرْك يجب التنبه لها ، فمثلا يقول الرجل لمن يطلب منه معروفًا : (إنى معتمد على الله وعليك) .. هنا أشرك القائل دون أن يدرى ، والواجب أن يقول : (**أنا معتمد على الله ثم عليك**) .. (**الفضل لله ثم لك**) ..

---

[1] رواه البخارى كتاب المناقب .
[2] رواه أحمد مسند بنى هاشم .
[3] رواه أبو داود كتاب الأدب .

وهكذا .. ويقول ابن عباس منبِّهًا : (**قد يشرك أحدُكم كَلْبَهُ مع الله ، قالوا : كَيف ذلك ؟! قال : أن يقولَ الرَّجُلُ : لولا الكلب لسُرِقْنَا البَارِحَة**) .. وهذا كثيرًا ما يقع فيه الناس بقولهم : لولا الطبيب لمات المريض .. لولا الدواء ما شفى فلان .. لولا تفكيرى السليم وتدبيرى لخسرت التجارة .. وهكذا .. فكلمة « لولا » فى مثل هذه الأمور توحى بالشرك ، فالله تبارك وتعالى هو الفعال لما يريد ، ولا يقع فى ملكه إلا ما يريد ..

وكذلك من محظورات فحوى الكلام .. « الحلف بغير الله » مثل : الحلف بالذمة ، أو الأب ، أو الأم ، أو رحمة فلان .. أو الطلاق .. وهكذا .. ونبينا (ﷺ) يقول : (**مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّه أَوْ لِيَصْمُتْ**)[1] .. ويقول : (**مَنْ قَالَ : « إِنِّي بَرِيءٌ مِنَ الإِسْلامِ » فَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فَهُوَ كَمَا قَالَ ، وَإِنْ كَانَ صَادِقًا لَمْ يَعُدْ إِلَى الإِسْلامِ سَالِمًا**)[2] .. فعلى الإنسان أن يتنبه لفحوى كلامه وما يؤدى إليه كلامه من محظورات ومخاطر ..

الْمَدْح

« المدح » : هو الثناء ، ومنه ما هو مباح ، ومنه ما هو محظور .. والمحظور هو أن تمدح شخصًا بالصفات المطلقة كأن تقول : فلان من أولياء الله الصالحين ، أو من الزهاد ، أو من المتقين .. فالله تعالى أعلم بعباده ، وهو القائل : (هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ

[1] رواه البخارى كتاب الشهادات .
[2] رواه النسائى كتاب الأيمان .

بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ)[1] .. وقد أَثْنَى رَجُلٌ عَلَى رَجُلٍ عِنْدَ النَّبِيِّ (ﷺ) فَقَالَ : (**وَيْلَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ .. قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ – مِرَارًا – ثُمَّ قَالَ : مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَادِحًا أَخَاهُ لا مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ : أَحْسِبُ فُلانًا ، وَاللَّهُ حَسِيبُهُ** [2] ، **وَلا أُزَكِّي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا ، أَحْسِبُهُ كَذَا وَكَذَا – إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُ –**)[3] ..

وهناك آفات أربع تصيب المادح وهى :

١– الإفراط أو المبالغة فى المدح فيؤدى ذلك إلى الكذب .

٢– أن يكون ما يضمره المادح من حب للممدوح لا يوازى المديح ، فيقع فى الرِّياء .

٣– أن يمدحه بما ليس فيه فيقع فى النفاق .

٤– أن يمدحه بالصفات المطلقة مثل : (هو من الصالحين أو من الأولياء) فيصبح من المتألِّين على الله .

وكما قد يقع المادح فى المحظور ، فكذلك : يصيب الممدوح من الآفات ما يلى :

١– إذا كان ظالِمًا أو جبارًا أو فاسقًا .. دخل السرور إلى قلبه بهذا المديح ، مما قد يزيده طغيانًا وتجبرًا وفسقًا .

٢– أن يكون من الطائعين .. فيُصاب بالغرور أو العُجْب ويرضى عن نفسه ، فيتكاسل عن العمل ، ويغفل عن تقصيره .

---

[1] سورة النجم آية ٣٢ . [2] حسيبه : عليم بحاله . [3] رواه البخارى كتاب الشهادات .

من أجل ذلك قال النبى (ﷺ) : (**إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ**)[1] كناية عن عدم الرضا وعدم السماح لهؤلاء الْمَّداحينَ بالمدح والثناء .. فالإنسان أعلم بنفسه ممن يمدحه ، والله أعلم به من نفسه .. وحتى لا يقع فى المحظور فعليه إن مُدح أن يقول كما أُثر عن بعض السلف : (**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِى مَا لاَ يَعْلَمُونَ ، وَلاَ تُؤاخِذْنِى بِمَا يَقُولُون ، واجْعَلْنِى خَيْرًا مِمَّا يَظُنُّونَ**)[2].. وعليه كذلك أن يعلم أن مدح الناس له لا يرفع من قدره عند الله .. بل قد يؤاخذ به ويحاسب عليه يوم القيامة ..

ولا يتعارض ما سبق ذكره مع ما ورد من أحاديث تفيد مدح النبى (ﷺ) لأصحابه فى وجوههم .. مثل قوله (ﷺ) : (**ما طَلَعَتِ الشَّمْسُ ، ولا غَرَبَتْ ، عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ النَّبِيِّينَ والْمُرْسَلِينَ أَفْضَلَ مِنْ أَبِى بَكرٍ**)[3].. وكقوله لعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) : (**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا ، إلاَّ سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ**)[4].. وكقوله (ﷺ) : (**أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ .. وَأَشَدُّهُمْ فِي دِينِ اللَّهِ عُمَرُ .. وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ .. وَأَقْضَاهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ .. وَأَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ .. وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ ابْنُ جَبَلٍ .. وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ .. أَلا وَإِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا ، وَأَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ**)[5] ..

---

[1] رواه مسلم كتاب الزهد .

[2] أخرجه البيهقي في شعب الإيمان .

[3] فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل .

[4] رواه البخارى كتاب بدء الخلق .

[5] رواه ابن ماجه .

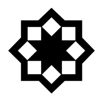
فالنبى (ﷺ) قد مدح أصحابه بصدق ، وبحق ، فهو يعلم ما هُمْ عليه ، ويُوحَى إليه فى شأنـــهم .. أما هم فقد كانوا أجَلّ وأعظم وأكبر من أن يصيبهم المديح بالكبر أو العُجب أو الغُرور .. أو يتَّكِلُوا على ذلك فيصيبهم الفتور ، بدليل أنـــهم كانوا يبكون إذا حضرهم الموت .. فحين حضرت « مُعَاذًا » (رضي الله عنه) الوفاةُ جعل يبكي ، فقيل له : **أتبكي و أنت صاحب رسول الله** (ﷺ) ، **و أنت** ، **و أنت ؟!** **فقال** : (**ما أبْكِي جزَعًا من الْمَوْت أن حَلَّ بي ، و لا دُنْيَا ترَكْتُها بعدي ، ولكن إنما هما القَبْضَتَان : قَبْضَة في النار ، و قَبْضَة في الجنة ، فلا أَدْرِي فِي أَيِّ القَبْضَتَيْنِ أَنَا**)[1] .. ويروى أَنَّ « عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ » (رضي الله عنه) أُتيَ بِطَعَامٍ وَكَانَ صَائِمًا فَقَالَ : (**قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي .. كُفِّنَ فِي بُرْدَة : إنْ غُطِّيَ رَأْسُهُ بَدَتْ رِجْلاهُ ، وَإِنْ غُطِّيَ رِجْلاهُ بَدَا رَأْسُهُ .. وَقُتِلَ حَمْزَةُ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي .. ثُمَّ بُسِطَ لَنَا مِنَ الدُّنْيَا مَا بُسِطَ – أَوْ قَالَ : أُعْطِينَا مِنَ الدُّنْيَا مَا أُعْطِينَا – وَقَدْ خَشِينَا أَنْ تَكُونَ حَسَنَاتُنَا عُجِّلَتْ لَنَا .. ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي حَتَّى تَرَكَ الطَّعَامَ**)[2] .. وحين طُلِب من « عُمَر » (رضي الله عنه) أن يَسْتَخْلِف وهو مَطْعُون قد خرجت أحشاؤه قال : (**وَدِدْتُ أَنِّي نَجَوْتُ مِنْهَا كَفَافًا ، لا لِي ، وَلا عَلَيَّ ، لا أَتحَمَّلُهَا حَيًّا وَلا مَيِّتًا**)[3] ..

من هنا كان على الإنسان أن يهتم بنظر الله إليه ، وليس بنظر الناس .. وأن يتَّهم نفسَه دائمًا بالتقصير ، ويذكّرها بذنوبـــها ، ويستصغر عبادته وطاعته ..

---

[1] رواه البيهقى فى شعب الإيمان . [2] رواه البخارى كتاب الجنائز . [3] رواه البخارى كتاب الأحكام .

وصدق عمر (رضي الله عنه) إذ يقول : (**حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا ، وَتَزَيَّنُوا لِلْعَرْضِ الأَكْبَرِ ، وَإِنَّمَا يَخِفُّ الْحِسَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا**)[1] ..



[1] رواه الترمذي كتاب صفة القيامة .



أَحْوَالُ الْقَلْبِ وَأَوْصَافُهُ

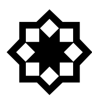
تمهيد

قد عرفنا أمراض اللسان ومحظورات الكلام ، وكيفية علاجها .. وعلينا أن نتعرّفَ أمراضَ القلب كى نتقيها – فالوقاية خير من العلاج – أو نعالجها إن كانت موجودة فينا ، لأن سلامة القلب هى أساس النجاة من عذاب الله ، كما جاء فى قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[1] ..

ولكى نتعرّف أمراضَ القلب لابد لنا أن نتعرّف القلبَ أولا : ماهو ؟! .. وأين مكانه ؟! .. وما هى حدوده ؟! .. وما هى إمكاناته ؟! .. ومن هم جنوده ؟ ومن هم أعداؤه ؟! ..

لأن : **مَن عَرَف قلبه .. عَرَف نفسه ..**

ومَن عَرَف نفسه .. عَرَف ((**الله**)) ..



[1] سورة الشعراء الآيتان ٨٨ ، ٨٩ .

الْقَلْب

خلق الله تبارك وتعالى المخلوقات فمنها : الجمادات ، ومنها : النبات والحيوان والإنسان .. والجماد : هو ما لا حياة فيه ، وقد خُلق لخدمة الحياة بصورها المختلفة فى النبات والحيوان والإنسان .. فالنبات فيه نوع من الحياة لأنه ينمو ويزهر ويثمر ويموت ولكنه ثابت .. حيث زرع نبت ، ونما ، وحصد ، فليس له حركة ولا اختيار .. أما الحيوان فله نوع من الحياة هى أرقى من حياة النبات ، إذ له الحركة وله بعض الاختيار وقد يكون له مجتمع ونظام ، كما فى مملكتى النحل والنمل ، وكهجرة الطيور والأسماك .. وما إلى ذلك : (وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم)[1] .. وعليه كان يلزم للحيوان شىء زائد عما أعطاه الله للنبات ، ألا وهو الحاسة .. فالنبات لا يبصر ولا يتحرك فلا تلزمه العين مثلا .. أما الحيوان فيحتاج إلى البصر فى حركته وكذلك إلى باقى الحواس التى تعينه على تمييز أسباب معيشته .. كما يحتاج إلى الشهوات أو الغرائز لحفظ نوعه .. فمنحه الله الشهوات البهيمية (شهوتَىِ البطنِ والفرج) ، والشهوات السَّبعية (شهوة الغضب) .. فإذا احتاج الحيوان إلى الطعام تحركت شهوة البطن فأحس بالجوع .. وتحركت شهوة الغضب فأقدم على فريسته يمزقها بأنيابه .. وهذه الشهوات فى الحيوان لا حاكم لها ولا رابط ، وهى بغير توجيه أو ضابط ، فلا علم ولا إدراك .. فمثلاً لو نظر الكلب إلى المرآة أو إلى الماء لظن صورتَهُ فيهما كلبًا آخر ، ولا يمكن له أن يدرك أن ما يراه

---

[1] سورة الأنعام آية ٣٨ .

خيال أو صورة .. وإذا انتقلنا إلى الإنسان وجدناه يجمع بين ما مُنح للنبات ، وما مُنح للحيوان ، ثم تميَّز بعد ذلك بالعلم والإدراك ، فهو ينمو كما ينمو النبات ، ويزداد قوة على قوة ، ثم يتحول إلى الضعف والشيخوخة التى تنتهى بالموت .. ونجد فيه أيضًا ما فى الحيوان من شهوات بهيمية وسبعية .. ففيه شهوتا البطن والفرج ، وفيه شهوة الغضب ، ولكنها جميعا محكومة بالإدراك والتمييز الذى يوفره العقل .. وفائدة العقل : تصحيح خطأ الحواس ، والاختيار بين البدائل .. وهو أيضا مُهيَّأ لقبول العلوم والمعارف .. وقد نشأ من قدرة الإنسان على تسخير ما حوله أن ظهرت له شهوات أخرى : كشهوة الجاه والسلطان .. وشهوة المال والتملك .. وشهوة التسلط والسيطرة ..

والإنسان بتميّزه عن سائر المخلوقات بالعقل أصبح مكلفًا بالشرائع ، مخاطبًا بالأوامر والنواهى .. فما هو محل الخطاب من الإنسان ؟! .. الإنسان كيان مكون من جسم وروح ونفس وعقل .. ولابد أن يكون محل الخطاب هو القوة المتهيئة لقبول العلوم والمعارف .. والتى هى منشأ الإدراك والتمييز .. والتى بها يتم الاختيار بين البدائل ، ألا وهى : العقل .. فأين محل العقل من الإنسان ؟! .. **محل العقل هو القلب** .. ذلك الجوهر الموجود فى الصدر والذى له نوع من التعلق بالقلب العضوى .. تلك العضلة الصنوبرية التى تضخ الدم فى الجسم ، أما ما هو موجود فى الرأس فهو **المخ** وليس العقل ، وهو جهاز عضوى كأجهزة الجسم مثل : الكبد والبنكرياس ، وله وظائفه الخاصة وخلاياه ، وهو معَرَّض للتلف كباقى أعضاء الجسم .. أما القلب الذى نتكلم عنه فهو الجوهر الموجود فى الصدر الذى لا يعرف سِرَّه إلا الله ،

كالرُّوح والنَّفْس .. فهو الْمُخَاطَب .. وهو الْمُعَاتَب .. وهو الْمُحَاسَب .. وهو محل العلم والجهل .. والإيمان والكفر .. والنكران والشكر .. ومحل النِّيَّةِ التي على أساسها تُحسب الأعمال .. وهو حي لا يموت بموت الإنسان .. وهو أول شيء خُلِقَ من الإنسان .. وهو الذي خُوطِبَ وسُئِلَ وأجاب في عالَم الذَّرِّ كما حكى القرآن الكريم : (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ)[1] .. إذاً لابد للمخاطب أن يكون مُدركًا مُختارًا .. والله تبارك وتعالى لا يخاطب أعضاءنا وجوارحنا ، فتلك أدوات تأتمر بأوامر القلب .. وتكتسب الأعمال باختيار القلب ، وهي شاهدة يوم القيامة له أو عليه .. فالقلب هو الطائع على الحقيقة أو العاصي .. وما يظهر من أثر العبادة على الجوارح فهو نوره .. وما يسري فيها من فواحش هو أثره .. فإذا استنار القلب بنور المعرفة واليقين صلح الظاهر .. وإن اسودَّ بالجهل والفجور فسد الظاهر ، ولذلك يقول النبي (ﷺ) : (**أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ**)[2] .. وصدق من قال : (**الْمَرْءُ بِأَصْغَرَيْهِ : بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهَ**) ..

من ذلك يتضح أن القلب هو المخلوق للقاء الله ، وهو الساعي إلى رضاء الله ، وهو العالِم بالله ، وهو المتقرب إلى الله ، وهو المكاشف بما عند الله .. وهو الواقف يوم القيامة بين يدي الله .. وما جسم الإنسان إلا مَرْكَبٌ يسير به القلب في رحلة

---

[1] سورة الأعراف آية ١٧٢ . [2] رواه البخاري كتاب الإيمان .

الدنيا ثم ينتقل إلى مركب آخر فى حياة البرزخ – ولذلك يتحلل الجسم بالموت ويتحول إلى تراب – ثم ينتقل إلى مركب آخر يوم الحشر والنشر يكون محلا للتنعيم ، أو لذوق عذاب الجحيم .. فجسد الآخرة باق .. وجسد الدنيا فَان .. وإن كان الأصل هو التراب .. والله تبارك وتعالى هو الْمُبْدئ المعيد .. يبدأُ الخلق ثم يعيده ، والدليل على ما قلناه من أن القلب هو محل العقل .. وأن القلب محله الصدر .. وأن القلب هو محل العلم والمعرفة .. وهوالمدرك المختار .. وهو الْمُخَاطَب .. والْمُعَاتَب .. والْمُحَاسَب .. وأنه يمرض ويسلم : ما جاء فى القرآن الكريم من آيات كثيرة .. وإليك أمثلة منها : (فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا)[1] .. (وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ)[2] .. (وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ)[3] .. (لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا)[4] .. (رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)[5] .. (صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ)[6] .. (إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ)[7] .. (أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ)[8] .. (أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ)[9] .. (إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)[10] .. (وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ

---

[1] سورة البقرة آية ١٠ .
[2] سورة البقرة آية ٢٢٥ .
[3] سورة آل عمران آية ١٥٤.
[4] سورة الأعراف آية ١٧٩ .
[5] سورة التوبة آية ٩٣ .
[6] سورة التوبة آية ١٢٧ .
[7] سورة الكهف آية ٥٧ .
[8] سورة الحج آية ٤٦ .
[9] سورة النور آية ٥٠ .
[10] سورة الشعراء آية ٨٩ .

قُلُوبُكُمْ)[1] .. (وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ)[2] .. (إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)[3] .. (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ)[4] .. (فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ)[5] .. (فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ)[6] ..

جُنُودُ الْقَلْب

مما سبق يتضح لنا أن القلب هو الْمَلِكُ ، وهو الآمر الناهى ، وهو الْمُدْرِك الفَعَّال الْمُخْتَار .. والجسم مملكته يتحكم فيها كيف يشاء .. ولابد للملك من جنود وعَسَس (جواسِيس) وأسلحة وما إلى ذلك ..

وجنود القلب ثلاثة :

١- الشَّهَوَاتُ ، أو البَوَاعِثُ والْمُسْتَحِثَّاتُ :

وهو ما يطلق عليه أحيانًا الإرادة .. وقد خُلقت هذه الشهوات لخدمة القلب بحفظ مركبه وهو الجسد .. وهذه الشهوات متعددة .. فمنها « **بَهِيمِيَّة** » : كشهوتى البطن والفرج .. فشهوة البطن تحفظ الجسد ، وتمده بما يغذيه ويبقيه .. وشهوة الفرج تحفظ النوع بالزواج والإنجاب .. ومنها « **سَبْعِيَّة** » : كشهوة الغضب وهى موجبة سالبة ، إذ تجلب المنافع وتدرأ المفاسد .. ولهذه الشهوات درجات متعددة تتراوح بين التفريط والإفراط ..

---

[1] سورة الأحزاب آية ٥ . [2] سورة الأحزاب آية ٢٦ . [3] سورة الصافات آية ٨٤ .

[4] سورة محمد آية ٢٤ . [5] سورة الفتح آية ١٨ . [6] سورة المنافقون آية ٣ .

٢- أَدَوَاتُ تَحْصِيلِ الشَّهَوَاتِ ، أَو الْقُدْرَة :

وهى الجوارح والأعضاء على اختلاف أنواعها ، فمثلا إذا تحركت شهوة الجوع ، أمر القلب الجوارح لتحصيل الطعام : فالعين تبصر وتنتقى ، والقدم تسعى ، واليد تحمل وتطبخ وتعد الطعام ، والفم يمضغ .. وهكذا .. وهذه الجوارح جنود ظاهرة ، تحركها جنود باطنة : كالأعصاب ، والعضلات ، والإشارات من المخ وإليه .. وما إلى ذلك .. وبـــهذه القدرة يتحقق ما طلبته الإرادة ، أو يُدفع ما حذرت منه ..

٣- الإِدْرَاكُ أَو التَّمْيِيز :

وهو أهم جنود القلب إذ به تتميز الأشياء ، ويتم توجيه الحواس والجوارح التوجيه الصحيح .. لجلب المنافع ، ودفع المضار .. فمثلا : لو رأت العين ثعبانًا تبين القلب بواسطة الإدراك أنه عدو فأمر الجوارح بالابتعاد عنه أو البطش به .. وإذا سمعت الأُذن صوتًا عرف القلب صاحب الصوت بواسطة الإدراك .. ولذلك يطلق على الحواس اسم العَسَس أو (جواسيس القلب) ..

وعليه إذا أحسن القلب استخدام جنوده وصل إلى بر السلام ، وأصبحت الدنيـــا مزرعة للآخرة ، ووصل إلى الله سليمًا ، وأنجى صاحبه : (إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)[1] .. وإن أساء القلب استخدام جنوده فسد وتلف وعمى عن الحقيقة وأهلك صاحبه : (بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَـٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَـٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَـٰمِلُونَ) [2] .. **فكيف السبيل إلى سلامة القلب ؟!** ..

---

[1] سورة الشعراء آية ٨٩ .   [2] سورة المؤمنون آية ٦٣ .

حين خلق الله تبارك وتعالى القلبَ خلقه مُهيَّأً لقبول حقائق المعارف والعلوم ، وهى نوعان :

١- علوم عقلية :

وهى « **دُنْيَوية** » : كالطب ، والهندسة ، والحساب ، وما إلى ذلك .. تساعد الإنسان على تسخير ما خُلق له للانتفاع به فى دنياه .. و« **أُخْرَوِية** » : كالعلم بوجود الله ، وبصفاته ، وأفعاله ، وهى علوم مكتسبة بالتعلم والتحصيل ، تورث القلب الخشية والخضوع لخالقه ..

٢- علوم شرعية :

وهى علوم تختص بالأحكام ، وبيان الحلال والحرام ، والعبادات .. وهى علوم تكتسب بالتعلم والسماع والتقليد .. وهدفها : إنارة القلب ، وتوجيهه إلى كيفية إدارة مملكته ، والسيطرة على جنوده للوصول إلى بَرِّ الأمان .. وهى علوم وهبية للأنبياء تُوهب لهم بالوحى والتنـــزيل .. وما كان للعقل البشرى أن يصل إليها إلا من خلال الأنبياء الذين هم واسطة بين الله وخلقه .. وسواء أكانت العلوم عقلية أم شرعية مكتسبة أم موهوبة فالقلب هو وعاؤها ومحلها ، إذا امتلأ بـــها ، امتنع دخول الجهل .. أما إذا أُفْرِغَ القلبُ وخلا منها ، فإن الجهل يدخله ، ويدخله الهوى .. وتبدأ الشهوات تتحكم فيه وتوجهه بعد أن كانت جُنْدًا له .. وإذا بالجوارح والحواس مُسَخَّرة لخدمة الشهوات التى تنمو وتستعر وتخرج عن حد الاعتدال ، فتسعى إلى

المهلكات فتستجلبها بدلا من أن تدفعها .. ويفقد القلب إدراكه وتمييزه كما فقد سيطرته على جنوده ، ويصبح تابعًا للهوى يأتمر بأمره ، فيضل طريقه إلى ((الله)) مصداقًا لقوله عز وجل : (وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ)[1] ..

كَيْفِيَّة دُخُولِ العُلُومِ إِلَى الْقَلْب

للقلب بابان :

الباب الأول : مفتوح على الحواس .. تدخل منه العلوم الْمُكْتَسَبَة .. فمثلا : إذا رأيت شيئًا من المطعومات ، فسألت عنه ، فسمعت الإجابة ، ثم تذوقته حصل لديك عِلْمٌ به نتيجة عمل الحواس : فالعين رأت ، والأُذن سمعت ، واللسان تذوق ، وهكذا فى كل ما تقع عليه الحواس من مَرْئِيات ، ومسموعات ، ومطعومات ، وملموسات ومشمومات .. وهذه العلوم تتعلق بعَالَمِ الْمُلْك والشهادة سواء أكانت عقلية دنيوية : كالطب ، والهندسة .. أم شرعية : كالوضوء ، والصلاة ، وما إلى ذلك .. وهى علوم وصلت إلى القلب عن طريق الاقتباس من الحواس ..

الباب الثانى : مفتوح على عالَمِ الغَيْب والْمَلَكُوت ، وهو متجاوز الحواس لا علاقة له بها ، ومنه تأتى الفيوضات الإلهية ، والعلم اللَّدُنِّى [2] ، أو العلوم الوهبية ، التى أشار القرآن إليها فى قوله تعالى : (وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

[1] سورة ص آية ٢٦ .

[2] العلم اللَّدُنِّى : هو علم يختص الله به مَنْ يشاء مِنْ عباده ، كما حدث مع سيدنا « الْخَضِر » عليه السلام .

وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ) [١] .. وهذه لا شك رؤية قلبية من خلال البـــاب المفتوح على عالَم الْمَلَكُوت .. وكذلك تنتقل حقائق العلوم الموهوبة مطابقة للواقع إلى قلوب الأنبياء عن طريق الوحى بلا اكتساب منهم .. وقد تنتقل هذه الحقائق من خلال النَّفْثِ فى الرَّوع كما ورد فى بعض أحاديث النبى (ﷺ) قولـــه : (**إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رَوْعِي ، وأَخْبَرَنِي أَنَّهَا لا تَمُوتُ نَفْسٌ حَتَّى تَسْـــتَوْفِيَ أَقْصَى رِزْقِهَا ، وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا ، فَيَا أَيُّهَا النَّاسُ ! اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِـــي الطَّلَبِ ، ولا يَحْمِلَنَّ أَحَدَكُمْ اسْتِبْطَاءُ رِزْقِهِ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى ما حَرَّمَ اللهُ عليه ، فإنه لا يُدْرَك ما عِنْدَ الله إلاَّ بِطَاعَتِه**)[٢] .. وكذلك تنتقل من خلال الرُّؤى الصادقة – ورؤيا الأنبياء وَحْى – وجميع هذه الطرق يتوصل بـــها القلب إلى رؤية ما هو مسطور فى اللوح المحفوظ ، فتنطبع فيه صورة حقائق العلوم والمعارف .. وكلما تطهر القلب ازداد نقاءً حتى يصبح كالمرآة النظيفة تنطبع عليها الصور واضحة جليَّة .. ولذلك يُمْنح العارفون ((بالله)) الطائعون له مِنْ هذه العلوم الوهبية بقدر تفاوت قلوبـــهم فى الطاعة ، فتضىء قلوبـــهم بنور المعرفة ، ويصبح للقلب بصيرة يرى بـــها ويكاشف من خلالها ، وقد يرى أحدهم فى منامه ما لا يراه غيره ، وتأتى رؤياه كفلق الصُّبْح إذا كانت فى أمور الدنيا .. أما إذا كانت فى أمور أُخْروية فهى خصوصية له لا يَصِحُّ له أن يُفْشِيَها ، أو يتحدث عنها .. وكذلك قد يُلْهَـــم ، أو يُحَدَّث : أى تحدثه الملائكة فتلقى فى روعه ما شاء الله له ، مصداقًا لقولـــه (ﷺ) :

---

[١] سورة الأنعام آية ٧٥ .

[٢] رواه عبد الرازق باب القدر .

(**إِنَّهُ قَدْ كَانَ فِيمَا مَضَى قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ مُحَدَّثُونَ ، وَإِنَّهُ إِنْ كَانَ فِي أُمَّتِي هَــذِهِ مِنْهُمْ ، فَإِنَّهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ**)[1] .. وقصة « عمر » مع « سَارِيَة » قائد جيشه خير دليل على ذلك حين ناداه : (**يا سَارِيَةُ بن حِصْن .. الْجَبَلَ الْجَبَـلَ .. مَـن اسْتَرْعَى الذِّئْبَ ظَلَمَ**)[2] وقد تكلم بـها « عُمَرُ » وهو على المنبر فى المسجد النبوى فسمعها « سارية بن حصن » وهو فى ساحة المعركة فلجأ إلى الجبل ونجا بجيشه من التفاف العدو حوله .. وكذلك ما حدث فى قصة « موسى » – عليه السلام – مع « الْخَضِر » حين عرف « الْخَضِرُ » ما لم يعرفه « مُوسى » – عليه السلام – من أمور غيبية تختص بأصحاب السفينة ، والغلام الذى قتله ، والجدار الذى أقامه حماية لكَنْزِ الغُلامَيْنِ ..

عَدُوٌّ الْقَلْب

قد عرفنا أن القلب هو مَلِكُ الجسد والجوارح ، وهو محل العلم والمعرفة .. وما من مَلِكٍ إلا وله عَدُوٌّ ، وما من مملكة إلا ويتربص بـها أعداؤها .. وللقلب عدو قديم لدود .. ذو مكر وكيد وحيلة .. هذا العدو هو « الشيطان » ، وقد أخبرنا الله بذلك فى قوله تعالى : (إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ)[3] .. وخطورة هذا العدو تَكْمُن فى أننا لا نراه ، يقول الحق تبارك وتعالى : (إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡ)[4] .. وهكذا شاءت إرادة الله أن يختبرنا بعدو لا نراه ، ولكننا

---

[1] رواه البخارى ، كتاب أحاديث الأنبياء .
[2] أخرجه ابن مردويه عن ابن عمر (رضى الله عنهما) .
[3] سورة فاطر آية ٦ .
[4] سورة الأعراف آية ٢٧ .

بفضل الله عرفنا مسالكه وأساليبه وكيفية تأثيره فى القلوب ، إذ يقول الحق تبارك وتعالى حكاية عنه : (ثُمَّ لَأَتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ)[1] .. أى إنه يأتى من أربعة اتجاهات فقط من بين ستة للإنسان .. فلم يأت ذكر الفوق والتحت .. وعليه كان للإنسان اتجاهان لا سلطان للشيطان عليهما : أما الجهة العليا « الفوق » فهى طريق صلة العبد بربه من خلال العبادة والذكر والدعاء ، وربنا تبارك وتعالى يقول : (إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ)[2] .. ولذلك كانت النِّيَّة سِرًّا بين العبد وربه ، لا يَطَّلع عليها مَلَكٌ فيكتبها ، ولا شيطان فيفسدها .. فإذا حافظ الإنسان على صدق نِيَّته ، وطيب كلامه ، وحسن عبادته تمسَّك بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها .. وأما الجهة السُّفْلى « التحت » فهى طريق نظر العبد إلى نفسه ومَنْشَئِه ومَرجعه .. فيعلم أنه خلق من التراب ، وإلى التراب يعود ، وأن كل ما فوق التراب تراب ، مصداقًا لقوله عز وجل : (مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ)[3] .. فإن أدام الإنسان النظر إلى ما تحت قدميه هَانَ فى عينيه كل ما كان يعظمه من زخارف الدنيا وغرورها .. هذا وقد بيَّن لنا النبى (ﷺ) مكان ذلك العدو اللدود بقوله : (**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِى مِن ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ مِن الْعُرُوقِ**)[4] ، ولذا كان من الواجب على الإنسان أن يُضَيِّق مجارى الشيطان بالجوع .. ولقد رأى بعض العلماء أن الإفراط فى الطعام ، وما يؤدى إليه من اكتناز اللحم والشحم يلهى العبد عن ذكر الله ،

---

[1] سورة الأعراف آية ١٧ . [2] سورة فاطر آية ١٠ . [3] سورة طه آية ٥٥ .
[4] رواه البيهقى فى شعب الإيمان .

ويقوى الشهوات ، ويزيد من نـــهمها ، فتصبح أقوى أسلحة الشيطان .. وبدلا من أن تكون من جنود القلب إذا بـــها تنقلب عليه وتصبح عونًا عليه بعد أن كانت عونًا له .. وكلما استجاب لها القلب زادت مطالبها ، فيسعى الإنسان إلى المال والجاه والسلطان الذى يوفر لهذه الشهوات مطالبها .. وقد قال رسول الله (ﷺ) : **(مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ قَطُّ إِلاَّ بُعِثَ بِجَنْبَتَيْهَا مَلَكَان يُنَادِيَان ، يُسْمِعَان أَهْلَ الأَرْضِ إِلاَّ الثَّقَلَيْنِ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمُّوا إِلَى رَبِّكُمْ ، فَإِنَّ مَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَلْهَى)**[١] ..

ووسوسة الشيطان لا تثمر ما لم تجد لها عونًا من الشهوات ، فبقدر ما تخرج الشهوات عن حد الاعتدال .. يزيد تسلط الشيطان على القلب .. وكلما ضعفت الشهوات سيطر عليها القلب ، وانصرف الشيطان بمجرد الاستعاذة .. ويشير القرآن الكريم إلى الحالة الأولى بقوله عز وجل : (ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ)[٢] .. ويشير إلى الحالة الثانية بقوله : (إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ)[٣].. وبقوله : (إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ)[٤] .. إذًا معنى ذلك أن الإنسان إذا اتجه للتقوى والعبادة وسيطر على شهواته فلا سلطان للشيطان عليه ، فهو لا يملك إلاَّ الوسوسة التى لا تخرج عن كونـــها خواطر سوء لا تجد لها صدى فى القلب فينصرف خاسئًا بالاستعاذة .. أما إذا ترك لشهواته العنان فإنه يفقد السيطرة عليها ، وتصبح عونًا للشيطان عليه ، وتجد وساوسه صدى

---

[١] رواه أحمد مسند الأنصار . [٢] سورة المجادلة آية ١٩ . [٣] سورة الأعراف آية ٢٠١ .
[٤] سورة الإسراء آية ٦٥ .

فى قلبه ، فيميل إليها ، وينساق وراءها ، ويصبح ممن قال الله فيهم : (نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ)[1] ..

وَسْوَسَةَ الشَّيْطَان

روى ابن مسعود (رضي الله عنه) أن النبى (صلى الله عليه وسلم) قال : (**إنَّ للشَّيْطَان لَمَّةً بابْنِ آدَمَ ، وَللْمَلَك لَمَّةً .. فَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيْطَان : فَإيعَادٌ بالشَّرِّ ، وَتَكْذيبٌ بالْحَقِّ .. وَأَمَّا لَمَّةُ الْمَلَك : فَإيعَادٌ بالْخَيْرِ ، وَتَصْديقٌ بالْحَقِّ ، فَمَنْ وَجَدَ ذَلكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ منَ اللَّه ، فَلْيَحْمَد اللَّهَ ، وَمَنْ وَجَدَ الأُخْرَى فَلْيَتَعَوَّذْ باللَّه منَ الشَّيْطَان الرَّجيمِ**) .. ثُمَّ قَرَأَ : (ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةً مِّنۡهُ وَفَضۡلاًۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ)[2] .. [3]

وهذا ما يُسمى بالخاطر ، وهو أول ما يَرِد على القلب .. فإذا كان من الْمَلَكِ فهى رحمة من الله للإنسان ، عليه أن يتقبلها شاكرًا .. ويعمل بما جاء به الخاطر .. وإن كان من الشيطان فعلى الإنسان أن يتنبَّه ويتعوذ بالله ، كما أمرنا النبى (صلى الله عليه وسلم) فينصرف الخاطر ويُطرد الشيطان خاسئًا .. وإن لم يتعوذ بالله وترك الخاطر يستقر فى قلبه تلقفته الشهوات بالقبول والاشتياق .. وهنا يبدأ عمل الإدراك (التمييز) – وهو من جنود القلب كما أوضحنا – فإما أن يرفض الخاطر لما فيه من ضرر عاجل أو آجل فيسيطر القلب على جنده من الشهوات فيكبتها .. وإما أن يكون الإدراك غير

---

[1] سورة الحشر آية ١٩ .   [2] سورة البقرة آية ٢٦٨ .   [3] رواه الترمذى كتاب تفسير القرآن .

سليم فيتقبل الخاطر بالرضا فتتهيج الشهوات وتلح فى الحصول على ما أوعز به الخاطر ويمتلئ القلب بالرغبة فى ذلك .. وهنا ينشأ العزم والهمُّ بالفعل .. وقد يتراجع القلب عن ذلك ويعود إلى رشده وصوابه فينصرف العزم ويمتنع عن الهمِّ بالفعل ، وهو ما جاء فى قول النبى (ﷺ) : (**إنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَات وَالسَّيِّئَات ثُمَّ بَيَّنَ ذَلكَ ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَة فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عنْدَهُ حَسَنَةً كَاملَةً ، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بهَا فَعَملَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَات إِلَى سَبْعِ مائَة ضعْف إِلَى أَضْعَاف كَثيرَة .. وَمَنْ هَمَّ بسَيِّئَة فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عنْدَهُ حَسَنَةً كَاملَةً ، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بهَا فَعَملَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحدَةً**)[1] .. وقد لا يتراجع القلب وتسيطر عليه جنوده من الشهوات فيقوى العزم وتستقر النية على الإتيان بالفعل ، فيأمر القلب جنود القدرة – وهى الجوارح – فتتلبس بالفعل ويقع المحظور ..

وهذا الترتيب الذى ذكرناه بدءًا بالخاطر ثم القبول فالرضا فالعزم والنية ثم الفعل جاء به القرآن فى قول الحق تبارك وتعالى : (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ)[2] .. فالآية تصور مختلف المراحل مبتدئة بالخاطر (الوسوسة) الذى يوحى به الشيطان .. منتهية باقتراف الفعل ..

---

[1] رواه البخارى كتاب الرقاق .

[2] سورة الأنعام الآيتان ١١٢ ، ١١٣ .

مُحَاسَبَةُ الْقَلْب

يقول الله تبارك وتعالى : (لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ)[1] .. إذًا فالله سبحانه وتعالى يحاسب الإنسان على ما فى نفسه ، ولكن رحمته اقتضت التخفيف فقال : (لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ)[2] .. وعليه فيمكن القول بأن الإنسان مُحَاسَب على ما كان له فيه اختيار ، مُعَافى مما لا اختيار له فيه .. فمرحلة الخاطر – أى وسوسة الشيطان – ليس للإنسان فيها اختيار ، فلا يُحَاسَب على ما ألقاه الشيطان فى قلبه مصداقًا لقول النبى (ﷺ) : (**إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لأُمَّتِي عَمَّا وَسْوَسَتْ أَوْ حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ بِهِ أَوْ تَكَلَّمْ**)[3] .. وكذلك تحرك الشهوة وميلها إلى الخاطر لا إرادة للإنسان فيه ، إذ هى بواعث ومستحثات –كما سبق أن أوضحنا – تُعَدُّ من جنود القلب تعمل لحفظ وعائه ومركبه وهو الجسد .. فمثلا : لو كان الإنسان صائمًا فشم رائحة طعام يحبه تحركت شهوة البطن مائلة إليه على الرغم منه ، فاشتهاه بشدة ، وترقب أذان المغرب ليحصل عليه .. وكل ذلك لا يفسد صومه ، وبالتالى فإن مرحلة تـــهيج الشهوات فى القلب موافقة وطالبة ما ألقاه الشيطان من خواطر أمر خارج عن الوسع والطاقة ، فلا يؤاخذ به القلب .. أما مرحلة العزم والتصميم (النِّيَّة)

---

[1] سورة البقرة آية ٢٨٤ . [2] سورة البقرة آية ٢٨٦ . [3] رواه البخارى كتاب الأيمان والنذور .

فلا مجال فيها للاضطرار بل الإنسان فيها مُخْتار كامل الاختيار ، ولذلك كانت المحاسبة على الأعمال أساسها النية كما قال رسول الله (ﷺ) : (**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**)[1] .. وهذه المرحلة الكل فيها سواء ، والكل فيها مسئول ، مؤاخذ بنيته ، فإن نوى الإنسان معصيةً فحالت الظروف بينه وبينها أو مات قبل أن يعملها حُوسِب عليها ، أما إذا تراجع عنها مخافة الله فلا يؤاخذ بها .. وهذا هو معنى قول النبى (ﷺ) : (**وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً**)[2].. أى لم يعملها مختارًا خوفًا من الله .. أما من مُنِع عنها مُرْغَمًا فإنه يحاسب بها ، ولذلك قال النبى (ﷺ) : (**يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ**)[3] ..

مَرَضُ الْقَلْب

يقول الحق تبارك وتعالى : (فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ)[4] .. ويقول : (أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ)[5] ..

إذًا فالقلب يمرض .. ومرض القلب هو خروجه عن حد الاعتدال ، وفقده لوظيفته التى خلق لها .. ألا وهى : **معرفة الله** تبارك وتعالى ، والعلم بصفاته ، والسعى لمرضاته ، والتشوق إلى لقائه ، والسيطرة على جنوده التى سخرها الله له من :

---

[1] رواه البخارى كتاب بدء الوحى . [2] رواه البخارى كتاب الرقاق . [3] رواه ابن ماجه كتاب الزهد .

[4] سورة البقرة آية ١٠ . [5] سورة النور آية ٥٠ .

جوارح ، وأعضاء ، وحواس ، وشهوات ، واستخدامها فيما خلقت له .. تنفيذًا لقوله تبارك وتعالى : (وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)[1] .. والأسباب الأساسية لمرض القلب هى : الإفراط فى شهوة البطن وشهوة الفرج .. ولذلك حذرنا النبى (ﷺ) بقوله : (**مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِه ، حَسْبُ ابْنِ آدَمَ أُكُلاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ**)[2] .. بل وفهمنا من القرآن الكريم أن خروج « آدم » من الجنة كان بسبب الأكل من الشجرة التى نَهاهُ الله عنها .. وشهوة البطن هى ينبوع الشهوات .. ذلك أن الإفراط فى الطعام يؤدى إلى أحد أمرين :

١- **الحصول على المال من أى طريق** - ولو كان حرامًا - لتلبية رغبات شهوة البطن ، إذا لم يكن عنده من المال ما يكفى لذلك ..

٢- **السمنة واكتناز اللحم والشحم** الذى يؤدى إلى كثرة النوم والكسل عن العبادة والطاعة ، وحجب القلب عن الحكمة وتلقى العلوم ، وتقوية شهوة الفرج ، فتخرج عن حد الاعتدال ..

وخير وقاية ما جاء فى هذه النصيحة : (**نَحْنُ قَوْمٌ طِبُّنَا مَعَنَا : لاَ نَأْكُلُ حَتَّى نَجُوعَ ، وإِذا أَكَلْنَا لاَ نَشْبَعُ**) .. وهذا هو الاعتدال المطلوب ، والوسطية بين الإفراط والتفريط ..

أما شهوة الفرج فإن تركت بغير تحكم خرجت عن حد الاعتدال ، فيتجاوز الإنسان ما أَحَلَّه الله له إلى ما حَرَّمه عليه ، مما يجعله يجرى ويلهث وراء المال والجاه اللذين يوفران له ما تتطلبه شهوة الفرج .. وخير وقاية هى الطاعة لقول الله عز

---

[1] سورة الذاريات آية ٥٦ . [2] رواه البيهقى فى شعب الإيمان .

وجل : (قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ)[1] .. وكذلك العمل بالنصائح والوصايا التى وردت فى قول الله تعالى فى الحديث القدسى : (**النَّظْرَةُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ ، مَنْ تَرَكَهَا مِنْ مَخَافَتِي أَبْدَلْتُهُ إِيمَانًا يَجِدُ حَلاوَتَهُ فِي قَلْبِه**)[2] ، وفى قول رسول الله (ﷺ) : (**يَا مَعْشَرَ الشَّبَاب ، مَنِ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ**[3] **فَلْيَتَزَوَّجْ ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ**[4] **لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ**[5])[6] ..

فإذا تمت الوقاية بالتحكم فى شهوتى البطن والفرج : تيقظ القلب ، ووضع الإدراك الأمور فى نصابها ، وسُدَّت مسالك الشيطان وطرقه .. أما إذا لم يأخذ الإنسان بأسباب الوقاية : فإن القلب يتعرض لأمراض كثيرة وخطيرة ، ويفقد إدراكه وتمييزه ، وتختلط عليه الأمور ، ويلْقَى الله تبارك وتعالى عليلاً كليلاً ، فيَهْلِكُ ويُهْلِكُ صاحبَه ..

وإليك بيان بهذه الأمراض ، وأسباب الإصابة بها ، وطرق العلاج منها .. حتى تتجنب الإصابة بها ، أو تداوى قلبك منها إن كان قد أصيب بها .. قبل أن يستفحل الداء ويصعب الدواء ..

---

[1] سورة النور الآيتان ٣٠ ، ٣١ . [2] رواه الطبرانى . [3] الباءة : تكاليف الزواج والقدرة عليه .
[4] أغض : أحفظ وأصون . [5] وجاء : حماية ووقاية . [6] رواه البخارى كتاب النكاح .



مَحْظُورَاتُ الْقَلْب وَأَمْرَاضُه

الغَضَب

الغضب شهوة محلها القلب ، وهى تعنى غليان الدم فيه ، وحين تثور هذه الشهوة يغلى الدم فى القلب ، ويندفع إلى العروق صاعدًا إلى أعالى البدن .. والسبب فى ذلك أن الغضب مخلوق من النار ، والنار شأنها التلظِّى والاستعار والاتجاه إلى أعلى .. وقد عُجِنَت هذه النار بالطين الذى هو أساس خلق الإنسان حتى يتمكن الجسم من احتمالها .. وعند اندفاع الدم إلى أعالى البدن يَحْمَرُّ الوجه ، وتنتفخ الأودَاج ، وتحمر العينان .. ونجد أن الإنسان إذا غضب وهو جالس قام ، وإذا غضب وهو قائم اندفع .. وهكذا .. وقد بيّن النبى (ﷺ) ذلك ، وشرح العلاج بقوله : (**إِنَّ الْغَضَبَ جَمْرَةٌ فِى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ .. أَلَمْ تَرَوْا إِلى انْتِفَاخِ أَوْدَاجِه ، وحُمْرَةِ عَيْنَيْهِ ؟ فَمَنْ أَحَسَّ مِنْ ذَلِكَ شيئًا : فَإِنْ كَانَ قَائِمًا فليقعد ، وَإِن كَانَ قَاعِدًا فَلْيَضْطَجِعْ**)[1] .. وبقوله : (**إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ ، وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ**)[2] ..

والغضب له ثلاث حالات :

١- أن يكون الغضب على مَنْ هو دون الغاضب ، ويستطيع أن يُنْفِذ غضبه فيه .. وفى هذه الحالة ينبسط الدم ، ويتم توزيعه على سائر الأعضاء ، فتخفّ حمرة العينين ، وتبدأ مظاهر الغضب فى الانحسار والتلاشى .

(1) رواه البيهقى فى شُعَب الإيمان .
(2) رواه أبو داود كتاب الأدب .

٢- أن يكون الغضب على مَنْ هو أعلى منه ، ولا يملك أو لا يستطيع أن ينتقم منه .. وفى هذه الحالة يأخذ الدم فى الانقباض والارتداد إلى القلب محدثًا فيه الكَمَدَ ، والْحُزْن ، والغَيظ ، وينقلب احمرار الوجه إلى اصفرار ، وترتعد الأطراف ، ويكسو الشفاه لون أزرق ، وقد يصاب القلب نتيجة لذلك بأضرار صحية جسيمة .

٣- أن يكون الغضب على مَنْ هو نِدّ له أو مُسَاو له .. وفى هذه الحالة يكون الغاضب فى شك من استطاعته الانتصار ، أو إنفاذ غضبه ، فيتردد الدم بين الانقباض والانبساط ، فيحمر الوجه تارة ، ويصفر تارة أخرى .

وتتراوح شهوة الغضب بين ثلاثة حدود :

أولا – التفريط :

ويكون ذلك بأن تضعف هذه الشهوة عن الحد المطلوب لها وتنكسر حدتها ، وذلك أمر محظور ، لأنه يؤدى إلى نتائج سلبية منها :

١- انعدام الحمية والغيرة مما يؤدى إلى اختلاط الأنساب :

وقد قال أحد الحكماء : كل أمة ضاع الغضب مِن رجالها ضاعت الصيانة من نسائها .. ورسول الله (ﷺ) يقول : (**إِنَّ اللَّهَ يَغَارُ ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَغَارُ .. وَغَيْرَةُ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِ**)[1] .. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : **قَالَ سَعْدُ ابْنُ عُبَادَةَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَوْ وَجَدْتُ مَعَ أَهْلِي رَجُلاً لَمْ أَمَسَّهُ حَتَّى آتِيَ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ؟!! قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : نَعَمْ .. قَالَ : كَلاَّ وَالَّذِي بَعَثَكَ**

[1] رواه مسلم كتاب التوبة .

بِالْحَقِّ ، إِنْ كُنْتُ لأُعَاجِلُهُ بِالسَّيْفِ قَبْلَ ذَلِكَ .. قَالَ رَسُولُ اللَّه (ﷺ) : اسْمَعُوا إِلَى مَا يَقُولُ سَيِّدُكُمْ ! إِنَّهُ لَغَيُورٌ ، وَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ ، وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي)[1] ..

٢- انعدام الشعور بالغضب عند رُؤية المنكر :

فلا يكون هناك غضب لله ، ولا سعى لتغيير المنكر ، فينتشر الفساد فى الأرض ، ويستشرى المنكر حيث لا راد له ولا رادع .. والحق تبارك وتعالى يقول : (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ)[2] .. ويقول فى مجال الثناء على المؤمنين : (أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ)[3] .. مما يعنى أن الغضب واجب فى حدود معينة ، ذلك أن الغلظة والشدة من آثار قوة الحمية التى هى الغضب ..

٣- عدم إقامة حدود الله التى يبعث عليها الغضب من انتهاك حرماته :

والله تعالى يقول : (ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ)[4] ..

٤- يصبح الإنسان خسيسًا يَرْضَى بالذل والضَّيْم (الإِذْلال) ولا يثور لكرامته ويجترئ عليه اللئام : ويقول الإمام الشَّافِعُّى : (**مَنِ اسْتُغْضِبَ فَلَمْ يَغْضَبْ فهو حِمَار ، ومَن اسْتُرْضِيَ فَلَمْ يَرْضَ فهو شَيْطَان**)[5] ..

٥- تتحكم شهوة البطن وشهوة الفرج فى الإنسان :

ذلك أن من وظائف شهوة الغضب أن يغضب الإنسان على نفسه إذا ارتكب

---

[1] رواه مسلم كتاب اللعان . [2] سورة التوبة آية ٧٣ . [3] سورة الفتح آية ٢٩ .

[4] سورة النور آية ٢ . [5] رواه البيهقى فى شُعَب الإيمان .

محظورًا ، فيسلط شهوة الغضب على سائر الشهوات فتكبح جماحها ..

ثانيا – الاعتدال :

ويكون ذلك بإخضاع شهوة الغضب للعقل والدين دون تجاوز : بحيث تنبعث حين يكون الغضب مطلوبًا ، وبالقدر المطلوب له ، وتسكن حين يكون الْحِلْمُ مطلوبًا .. أى تثور عند الحاجة وتسكن عند الضرورة ، فتؤدى المطلوب منها دون إفراط أو تفريط ..

ثالثا – الإفراط :

ويكون ذلك بزيادتـــها عن حدّها .. فتثور حيث لا يجب أن تثور ، أو تتجاوز حدّها المرسوم لها ، فتخرج عن حد الاعتدال ، وتؤدى إلى الرعونة والتهور ، ويصعب السيطرة عليها ، فلا تخضع لعقل أو دين مما يفقد الإنسان معه بصيرته ، فتخرج أفعاله عن نطاق الترتيب والانتظام ، كما تخرج أقواله عن حدود الأدب واللياقة وما رسمه الإسلام من حدود للتخاطب والكلام .. وينطلق لسانه بالسبِّ ، والشتم ، واللعن ، فيقع فى محظورات اللسان .. وتندفع جوارحه للضرب ، والتمزيق ، والجرح ، والقتل عند التَّمَكُّن .. وقد يهرب المغضوب عليه ، فينقلب الغضب على صاحبه : فيمزق ثوبه ، ويلطم وجهه ، أو يكسر الأوانى .. ويمتلئ القلب بالحقد ، والغِلِّ ، وإضمار السوء ، وغير ذلك ..

عِلاَجُ الغَضَب :

١- أن يعلم الإنسان أن وطنه القبر ، وأن مستقره الآخرة ، وأن الدنيا معبر يعبر عليها فيتزود منها قدر الضرورة لأن ما وراء ذلك من متاعها وَبَال عليه ومحل

سؤال .. إذ إن مِنْ مُحَرِّكات شهوة الغضب وأسباب خروجها عن حد الاعتدال الحرمان مما يُحِبُّ ، والحيلولة بينه وبين ما يشتهى .. وكلما زادت محبوباته ومطلوباته من الدنيا عن الضرورات انْحَطَّتْ رتبتُه ، لأن الحاجة نقص ، والغنى الحقيقى هو الاستغناء عن الشىء وليس حيازته .. وعليه أن يتذكر قول الحق تبارك وتعالى : (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ)[1] ..

٢- أن يرى الأشياء كلها بيد الله ، ومنه .. وأن ما يصيبه على أيدى الغير هو ما قدَّره الله وقَضَى به من الأزل .. فهم مُسَخَّرون فى قبضته كالقلم فى يد الكاتب ، إذ لا يقع فى ملكه إلاّ ما يريد ، وهو الفعال لما يريد .. فلا يغضب لنفسه ، وإنما يغضب لله .

٣- أن يحسن الظن بالله .. ويعلم أن الْخِيرة فيما اختاره الله ، وأن الله لا يقضى له إلا بما فيه الخير .. فرسول الله (ﷺ) يقول : (**مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ ، وَلا وَصَبٍ ، وَلا هَمٍّ ، وَلا حُزْنٍ ، وَلا أَذًى ، وَلا غَمٍّ ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا ، إِلاَّ كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ**)[2] .. وعليه أن يتذكر سلوك الصالحين والسابقين فيقتدى بـــهم .. فحين افْتَخَرَت قريش عند « سَلْمَان الفَارِسىّ » (رضي الله عنه) قال : (**لَكِنِّي خُلِقْتُ مِنْ نُطْفَة مَذِرَة ، ثم أَعُودُ جِيفَة مُنْتِنَة ، ثم يُؤْتَى**

---

[1] سورة آل عمران آية ١٤ .

[2] رواه البخارى كتاب المرضى .

بِالْمِيزَان ، فَإِنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينِي فأنا كَرِيمٌ ، وإِنْ خَفَّتْ فأنا لَئِيمٌ)[1] .. وحين جاء رجل إلى « علي بن الحسين » (رضي الله عنهما) فقال : إن فلانًا شتمك و قال عنك كذا و كذا ، فقال : اذهب بنا إليه ، فذهب معه و هو يرى أنه ينتصر لنفسه ، فلما وصل إليه قال : (**يَا أَخِي إِنْ كَانَ مَا قُلْتَ فِيَّ حَقًّا فَغَفَرَ اللهُ لِي ، و إن كان ما قُلْتَ فِيَّ بَاطِلاً فَغَفَرَ اللهُ لَكَ**)[2] ..

٤- أن يتفكر فى عاقبة الغضب .. وأنه إذا أنفذ غضبه فى غيره .. أورث ذلك العداوة والبغضاء والصراع الذى لا تُؤْمَن عواقبه ..

٥- أن يتذكر قدرة الله عليه .. فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو (رضى الله عنهما) أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) : **مَاذَا يُبَاعِدُنِي مِنْ غَضَبِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ؟ قَالَ : (لا تَغْضَبْ)**[3] .. نعم لأن الإنسان لو أنفذ غضبه فى غيره أنفذ الله غضبه فيه ..

٦- أن يعلم أن ما أغضبه - وإن كان قد جاء على غير مراده - فإنه قد جاء على مراد الله .. فلا يصح له أن يُفَضِّل نفاذ مراده على نفاذ مراد الله ..

٧- أن يستحضر صورة الغاضب فى ذهنه ، وكيف تتغير هيئته ، ويَخْتل تصرفه : فتحمر عيناه ، وتنتفخ أوداجه ، ويخرج الزَّبَد من أشداقه ، ويقارن ذلك بوقار العلماء والصالحين ، وهدوء نفوسهم وحسن سَمْتِهم ..

٨- أن يتذكر فضل كَظْمِ الغيظ ، وفضل العَفْو والرفق .. لأن الطمع فى ثواب ذلك قد يكون مانعًا من البطش ، والانتقام ، وإنفاذ الغضب .. وربنا تبارك وتعالى

---

[1] رواه ابن أبى الدنيا عن أبى الأحوص .
[2] كتاب الكبائر للذهبى .
[3] رواه أحمد مسند المكثرين من الصحابة .

يقول : ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1] ..

وعليه أن يتذكر أقوال النبى (ﷺ) فى هذا المجال والتى منها : (**مَا تَجَرَّعَ عَبْدٌ جَرْعَةً أَفْضَلَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ جَرْعَةِ غَيْظٍ يَكْظِمُهَا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى**)[2] .. (**وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا**)[3] .. (**مَنْ يُحْرَمُ الرِّفْقَ يُحْرَمُ الْخَيْرَ كُلَّهُ**)[4] .. (**يَا عَائِشَةُ عَلَيْك بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالرِّفْقِ ، فَإِنَّ الرِّفْقَ لَمْ يَكُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلاَّ زَانَهُ ، وَلَمْ يُنْزَعْ مِنْ شَيْءٍ قَطُّ إِلاَّ شَانَهُ**)[5] .. (**إِنَّمَا العِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ**)[6].. (**مَنْ كَظَمَ غَيْظًا – وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ – دَعَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رُءُوسِ الْخَلاَئِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ اللَّهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ**)[7] ..

٩- أن يتذكر وصية الرسول (ﷺ) فى مقاومة الغضب .. فإن غضب وهو قائم فليجلس ، وإن غضب وهو جالس فليتكئ أو ليضطجع ، فإن لم يذهب غضبه توضأ ..

١٠- أن يعلم أن الناس فى الغضب أربعة : فرسول الله (ﷺ) يقول : (**أَلا إِنَّ خَيْرَ الرِّجَالِ : مَنْ كَانَ بَطِيءَ الْغَضَبِ ، سَرِيعَ الرِّضَا .. وَشَرَّ الرِّجَالِ : مَنْ كَانَ سَرِيعَ الْغَضَبِ ، بَطِيءَ الرِّضَا .. فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ بَطِيءَ الْغَضَبِ بَطِيءَ**

---

[1] سورة آل عمران آية ١٣٤ .
[2] رواه أحمد مسند المكثرين من الصحابة .
[3] رواه مسلم كتاب البر والصلة .
[4] رواه أبو داود كتاب الأدب .
[5] رواه أحمد باقى مسند الأنصار .
[6] رواه الطبرانى فى المعجم الأوسط .
[7] رواه أبو داود كتاب الأدب .

الْفَيْءِ[1] ، **وَسَرِيعَ الْغَضَبِ وَسَرِيعَ الْفَيْءِ ، فَإِنَّهَا بِهَا)**[2] ..

الْحِقْدُ

« الْحِقْدُ » هو امتلاء القلب بالبغضاء والكراهية نتيجة الإفراط فى شهوة الغضب ، مع عجز الغاضب عن إنفاذ غضبه فيمن غضب عليه .. وهو ثمرة ارتداد الدم إلى القلب بعد فورانه محدثًا فيه الكَمدَ والْحُزْنَ مما يعرض صاحبه للأمراض المختلفة : كارتفاع ضغط الدم ، والذَّبْحَة الصدرية ، وارتفاع نسبة السُّكَّر فى الجسم ، وضيق الشرايين ، وما إلى ذلك .. بالإضافة إلى نزع صفة الإيمان عنه ، إذ تعلمنا من شيوخنا الأفاضل أن : (**الْمُؤْمِن لَيْسَ بِحَقُودٍ**) .. لأن الحقد معناه عدم الرضا بقسم الله وعدله بين خلقه ..

وكما أن الحقد ثمرة للإفراط فى الغضب ، فإنه كذلك يُثمر أمراضًا أخرى مثل :

١- **الْحَسَد** .. إذ قد يحمله الحقد على تَمَنِّى زوال النعم عن المحقود عليه ، وإن أصابته ضراء فَرِح ، وإن أصابته سَرَّاءُ اغْتَمَّ وحَزِن .

٢- **التَّشَفِّى والشَّمَاتة حتى فى الأمور التى لا تصح فيها الشماتة كالموت** .. ولا شماتة فى الموت ، إذ كل الناس يموت .. والنبى (ﷺ) يبين أن الشماتة محظورة بدعائه : (**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ ، وَغَلَبَةِ الْعَدُوِّ ، وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ**)[3] ..

---

[1] الفىء : الرجوع عن الغضب. [2] رواه أحمد باقى مسند المكثرين. [3] رواه النسائى كتاب الاستعاذة.

٣- **الهجر والمخاصمة والقطيعة** فإن كان ذا رَحِم وقع فى خطورة شديدة إذ يقول النبى (ﷺ) : (**لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ**)[1] .. وإن كان من غير ذوى الرَّحِم فقد ارتكب محظورًا .. إذ يقول النبى (ﷺ) : (**لا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاثِ لَيَالٍ .. يَلْتَقِيَانِ ، فَيُعْرِضُ هَذَا ، وَيُعْرِضُ هَذَا ، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلامِ**)[2] ..

٤- **التَّكَلُّم فى حق المحقود عليه بما لا يحل من** : كَذِبٍ ، وغِيبةٍ ، وافْتِراءٍ ، وإِفْشَاءِ سِرِّه ، وهَتْكِ سِتْرِه .

٥- **السُّخْرِية منه والاستهزاء به** ومحاولة إيذائه بشتى الوسائل .

٦- **مَنْعُهُ حَقَّه** سواء أكان هذا الحق ماديًّا : كالديون ، والميراث ، وما إلى ذلك .. أم كان مَعْنَويًّا : كقَولِ الْحَقِّ فى شأنه أو الشهادة له بما يستحق ، فيقع فى خطيئة الظلم والتعدى .

٧- **انشغال القلب بـــهذا المرض عن ذكر الله** ، فتنغلق فى وجهه منافذ العلوم : وَهْبِيّة كانت ، أو كَسْبِيّة .

عِلاج الْحِقْد :

علاج كل ذلك أن يُحْسِن من استشعر الْحِقْدَ فى قلبه إلى مَنْ حَقَد عليه .. عملاً بقول الحق تبارك وتعالى : ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾[3] .. وهذا هو تصرف

[1] رواه مسلم كتاب البر والصلة . [2] رواه مسلم كتاب البر والصلة . [3] سورة فصلت آية ٣٤ .

الأبرار والصِّدِّيقين .. فإن لم يستطع ذلك فلا أقل من أن يُؤَدِّى إليه حقَّهُ من : صلة رَحِم ، أو قضاء دين .. وما إلى ذلك ، وأن يفوض أمره إلى الله راضيًا بقضائه وقدره ، وهذا هو تصرف الصالحين ..

الْحَسَــد

« الْحَسَدُ » هو كراهة النعمة عند الغير ، وتمنى زوالها عنه .. وهو من خُلُق الكُفَّار والمنافقين ، لأن المؤمن لا يَحْسُد ، إذ إن الحسد اعتراض على قضاء الله فى تفضيل بعض عباده على بعض فى أمور الدنيا .. أما إن كان الحسد فى أمور الدين — بشرط عدم تمنى زوال النعمة عن الْمُنْعَمِ عليه ، وعدم كراهية وجودها ودوامها .. مع محبة الظفر بِمثلها – فذلك يُسمى « غِبْطَة » ، وتسميته حسدًا تَجَوُّزٌ .. ويبيّن النبى (ﷺ) ذلك بقوله : (**لا حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِه فِي الْحَقِّ ، وَرَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**)[1] .. وقد نسب القرآن الحسد إلى الكفار والمنافقين فى أكثر من موضع مثل : (وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ)[2] .. (أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ)[3] .. (إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا)[4] .. وقد أثنى الله تبارك وتعالى على خلو قلوب

---

[1] رواه البخارى كتاب الزكاة .   [2] سورة البقرة آية ١٠٩ .   [3] سورة النساء آية ٥٤ .
[4] سورة آل عمران آية ١٢٠ .

الأنصار من الحسد للمهاجرين فقال : (وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ)[1] ..

وللحسد مراتب أربع :

١- أن يتمنى الحاسد زوال النعمة عن المحسود ولو لم تنتقل إليه .

٢- أن يتمنى الحاسد انتقال النعمة من المحسود إليه .

٣- أن يتمنى مثل النعمة التى لدى المحسود ، فإن لم يحدث تمنى زوالها ، كيلا يظهر التفاوت بينهما .

٤- أن يتمنى مثل النعمة دون زوالها عن المحسود - وهذا لا إثم فيه - وهو ما يُسمى بـــ « الغِبْطَة » .

وتتمثل خطورة الحسد المبين فى البنود الثلاثة الأولى فى أنه يجعل الحاسد مُعَذَّبًا فى الدارين : فهو فى الدنيا مهموم محزون .. كلما رأى نعمة على المحسود زادته هَمًّا وحُزْنًا .. وأما فى الآخرة فهو معاقب على حسده لأنه من آثام القلب ، كما أنه فى حقيقة الأمر اعتراض على قضاء الله وقدره .. وقد نَهَانَا رسول الله (ﷺ) عن الحسد فقال : (**لا تَحَاسَدُوا ، وَلا تَبَاغَضُوا ، وَلا تَقَاطَعُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّه إِخْوَانًا**)[2] .. كما حذرنا من خطورته فقال : (**إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ ، فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ**)[3] .. كما قد يُؤدِّى الحسد إلى انطلاق اللسان بالغيبة ،

---

[1] سورة الحشر آية ٩ . [2] رواه مسلم كتاب البر والصلة . [3] رواه أبو داود كتاب الأدب .

والنميمة ، والفحش من القول ، والسِّعَاية ، والوِشاية للإيقاع بالمحسود ، بالإضافة إلى أن الجوارح قد تنطلق هى الأخرى محاولة إزالة النعمة ، أو منعها عن المحسود بشتى الوسائل ..

ولقد كان الحسد سببًا فى ارتكاب أول جريمة فى الملأ الأعلى ، والتى تمثلت فى حَسَدِ إِبْلِيس لآدم عليه السلام ، مما دفعه إلى العصيان والاستكبار عن السجود ، وبقى الحسد فى قلبه يدفعه إلى إزالة النعمة عنه فوسوس له ولزوجه حتى أخرجهما من الجنة حيث كان وعد الله : (إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ)[1] .. ولا زال الحسد هو الدافع لإبليس وجنوده فى إرادة الشَّرِّ ببنى آدم حتى تقوم الساعة .. كذلك كان حسد ابن آدم لأخيه سببًا فى ارتكاب أول جريمة قتل على الأرض ، كما حكى القرآن عنهما : (وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْأَخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ)[2] ..

أَسْبَابُ الْحَسَد :

١- **امتلاء القلب بالْحِقْد** .. الذى هو شدة البغضاء والكراهية التى تدفع إلى العداوة .. وهذا هو الحسد بالعداوة .. وهو أشد أنواعه ، لأنه ربما يستغرق العمر كله فى محاولة إزالة النعمة بالْحِيَل ، والسعاية ، والتقاتل ، والتنازع ، وما إلى ذلك ..

[1] سورة طه الآيتان ١١٨ ، ١١٩ .
[2] سورة المائدة آية ٢٧ .

٢- **الكِبْرُ** .. الذى يكون مدعاة لاحتقار الشخص والتعالى عليه ، فإن أصابته نعمة رفعت من شأنه ، نشأ الحسد فى قلب المتكبر ، كما حكى القرآن الكريم عن قوم « فرعون » : (ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ)[1].. وكذلك كان الكِبْرُ سببًا فى حسد كفار « مكة » للنبى (ﷺ) إذ قالوا : (**يَتِيمُ أَبِى طَالِبٍ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِىٌّ**)[2].. وحكى القرآن عنهم : (وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ)[3].. (وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولاً)[4] .. كما حكى قولهم عن المؤمنين : (أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ)[5] ..

٣- **التَّعَجُّبُ من أن يُمَيَّز عليه مَنْ هو مثله فيرتفع عليه** .. وهذا هو سبب كفر كثير من الأمم حيث حكى القرآن الكريم عنهم : (قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا)[6].. (وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ)[7].. (قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولاً)[8] .. (وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا)[9]..

---

(١) سورة المؤمنون الآيات ٤٥ : ٤٧ . (٢) أُسْد الغابة لابن الأثير . (٣) سورة الزخرف آية ٣١ .
(٤) سورة الفرقان آية ٤١ . (٥) سورة الأنعام آية ٥٣ . (٦) سورة يس آية ١٥ .
(٧) سورة المؤمنون آية ٣٤ . (٨) سورة الإسراء آية ٩٤ . (٩) سورة الفرقان آية ٢١ .

٤- **التَّنازُعُ والتَّنافُسُ على مقصود واحد** .. فإن تحقق المقصود لأحد المتنازعين حسده الآخرون كما حدث مع إخوة « يُوسُف » فى تنازعهم على حب أبيهم : (إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ)[1] فدفعهم ذلك إلى التفكير فى قتل « يُوسُف » أو إبعاده عن أبيه بأى وسيلة ..

٥- **حُبُّ الرِّيَاسَةِ وطلب الجاه والاشتهار بين الناس** .. بعلم من العلوم ، أو فن من الفنون كى يُمدح بأنه فريد عصره وأوانه ووحيد زمانه .. فإن نال أحد مثل شهرته أو جاهه ساءه ذلك فحسده ووقع فيه ..

وفى شأن الحسد على أمور الدنيا يقول « محمد بن سِيرِين » (رحمه الله) :

(ما حسدت أحدًا قط على شيء .. إن كان من أهل النار ، فكيف أحسده على شيء من الدنيا ومصيره إلى النار ؟! وإن كان من أهل الجنة ، فكيف أحسد رجلاً من أهلها أوجب الله له رضوانه ؟!)[2] ..

٦- **خبث النفس وشحها بالْخَيْر لعباد الله** .. فيشعر الحاسد وكأن الناس يأخذون من خزائنه .. والبخيل مَنْ يبخل بمال نفسه ، والشحيح من يبخل بمال غيره .. وصدق الله العظيم إذ يقول : (قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَـٰنُ قَتُورًا)[3] ..

هذا .. وقد تجتمع هذه الأسباب أو أكثرها فى شخص واحد .. وحينئذ يستفحل الدَّاء ويَعِزُّ الدواء .. وغالبًا ما يكون الحسد بين أقوام تجمعهم روابط واحدة .. فالعالِمُ

---

[1] سورة يوسف آية ٨ . [2] مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر . [3] سورة الإسراء آية ١٠٠ .

الذى يريد الدنيا يحسد العُلمَاء ، والعابد المرائى بعبادته يحسد العُبَّاد .. ويحسد الرجل أخاه وابن عمه أكثر مما يحسد الأجانب عنه ..

والحسد أصله العداوة ، والعداوة أصلها التراحم على مقصود واحد .. ومنشأ كل ذلك حب الدنيا .. والدنيا تضيق على المتزاحمين عليها .. أما الآخرة فلا ضيق فيها ، وخزائن ربنا لا تنضب .. والتنافس فيها مطلوب ممدوح إذ يقول الحق تبارك وتعالى : (وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ)[1] ..

عِلاَجُ الْحَسَد :

يختلف علاج الحسد باختلاف دوافعه وأسبابه .. وإليك البيان :

١- إن كان السبب هو البغضاء والكراهية فلابد من نزعهما من القلب حتى لا يُوجد الدافع إلى الحسد .

٢- إن كان السبب هو الكِبْرُ فتذكر قول النبى (ﷺ) : (**لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِه مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**)[2] .. وقوله : (**يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ** [3] **فِي صُوَرِ الرِّجَالِ ، يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ**)[4] .. وعليك بالتواضع كما نصحنا (ﷺ) بقوله : (**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا ، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّه إِلاَّ رَفَعَهُ اللَّهُ**)[5] ..

---

[1] سورة المطففين آية ٢٦ .
[2] رواه مسلم كتاب الإيمان .
[3] أمثال الذر : أى فى الصغر والحقارة .. و« الذَّرّ » : النمل الأحمر الصغير .
[4] رواه الترمذى كتاب صفة القيامة .
[5] رواه مسلم كتاب البر والصلة .

٣- إن كان السبب هو التنازع على مقصود أو مطلوب من أمور الدنيا فانزع من قلبك حبها حتى لا تتنافس على زائل ، ويضيع عمرك ولا تجنى منها سوى ما كُتِبَ لك .. وعليك بالعلم أن الدنيا متاعها قليل ، وكل ما فيها فتنة وابتلاء .. والله تبارك وتعالى يقول : (إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٌ)[1] .. وقد ينجح مَنْ تحسده فى الاختبار ولا تنجح أنت إن حصلت على ما حصل عليه .. وقد قال رسول الله (ﷺ) : (**مَثَلُ هَذِهِ الأُمَّة كَمَثَلِ أَرْبَعَة نَفَرٍ : رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً وَعِلْمًا ، فَهُوَ يَعْمَلُ بِعِلْمِه فِي مَالِه ، يُنْفِقُهُ فِي حَقِّه .. وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يُؤْتِه مَالاً ، فَهُوَ يَقُولُ : لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ هَذَا عَمِلْتُ فِيه مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ .. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : فَهُمَا فِي الأَجْرِ سَوَاءٌ .. وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً وَلَمْ يُؤْتِه عِلْمًا ، فَهُوَ يَخبِطُ فِي مَالِه يُنْفِقُهُ فِي غَيْرِ حَقِّه .. وَرَجُلٌ لَمْ يُؤْتِه اللَّهُ عِلْمًا وَلا مَالاً ، فَهُوَ يَقُولُ : لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ هَذَا عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ .. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : فَهُمَا فِي الْوِزْرِ سَوَاءٌ**)[2] ..

وفى كل الأحوال يجب على الحاسد :

١- أن يعلمَ أنّ ما يريده من زوال النعمة عن أخيه أمر يخرج عن حدود استطاعته لقول الله عز وجل : (مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٍ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَا)[3] .. وأن عطاء الله فى الدنيا للعباد قد جرى به القلم من الأَزَل إذ

---

[1] سورة التغابن آية ١٥ . [2] رواه ابن ماجه كتاب الزهد . [3] سورة فاطر آية ٢ .

يقول عز وجل : ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[1] ..

٢- أن يعلمَ أنّ الحسد معصية سواء أبقى فى القلب أم دفع إلى أقوال وأفعال .. فكل حاسد آثم ، وحسده ضرر عليه فى الدنيا والدين : أما فى الدين فلأنه بالحسد قد أسخط الله تبارك وتعالى عليه ، لأنه سخط على قضاء الله ، وكره نعمته التى قسمها بين عباده ، وعدله الذى أقامه فى ملكه بحكمته التى خفيت على الكثير من الناس .. وأما فى الدنيا فَلِمَا يكابده الحاسد من غمٍّ وهَمٍّ وحزن كلما رأى نعمة على أخيه .. وأما المحسود فينتفع دينًا ودنيا : أما منفعته فى الدين فلأنه مظلوم من جهة الحاسد - خاصة إذا دفعه حسدُه إلى الغِيبَة والقدح فيه بذكر مساوِئه - فيأخذ من حسنات الحاسد ويعطيه من سيئاته .. وأما انتفاعه فى الدنيا فبما يفعل الحاسد بنفسه مما هو مراد للمحسود إذ أوقعها فى الحسرة والغم والألَم الذى تقاسيه ، فأصبح عدوًّا لنفسه وصديقًا لعدوه .

٣- أن يعلمَ أنّ حبه لأخيه المسلم الذى رأى النعمة عليه يجعله يشاركه فى الخير ، وعليه أن يكلِّف نفسه نقيض ما يدفعه الحسد إليه .. فإن دفعه إلى القدح فى أخيه فعليه أن يكلف لسانه الثناء عليه .. وإن حمله على التكبر

[1] سورة الزخرف آية ٣٢ .

عليه فعليه بالتواضع له .. وإن دفعه إلى الكف عن الإحسان إليه فعليه زيادة الإحسان إليه ، فإن فعل ذلك أَحَبَّه المحسود وطاب قلبه ، فعاد ذلك عليه وبادله حُبًّا بحبٍّ .

٤- أن يدعو لكل مَنْ يرى عليه نعمة قد يحسده عليها كما أوصانا النبى (ﷺ) بقوله : (**أَلاَّ بَرَّكْتَ ؟!**) أى هَلاَّ دَعَوْتَ له بالبركة ؟! .. **فحين رَأَى عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ سَهْلَ بْنَ حُنَيْف يَغْتَسِلُ فَقَالَ : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ ، وَلا جِلْدَ مُخْبَأَة** [1] **!! فَلُبِطَ** [2] **سَهْلٌ ، فَأُتِيَ رَسُولُ اللَّه (ﷺ) فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّه ، هَلْ لَكَ فِي سَهْلِ بْنِ حُنَيْف ؟ وَاللَّه مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ !! فَقَالَ : (هَلْ تَتَّهِمُونَ لَهُ أَحَدًا ؟) قَالُوا : نَتَّهِمُ عَامِرَ بْنَ رَبِيعَةَ .. فَدَعَا رَسُولُ اللَّه (ﷺ) عَامِرًا فَتَغَيَّظَ عَلَيْه وَقَالَ : (عَلامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ !! أَلاَّ بَرَّكْتَ ؟! .. اغْتَسِلْ لَهُ) فَغَسَلَ عَامِرٌ وَجْهَهُ وَيَدَيْه وَمِرْفَقَيْه وَرُكْبَتَيْه وَأَطْرَافَ رِجْلَيْه وَدَاخِلَةَ إِزَارِه فِي قَدَحٍ ، ثُمَّ صُبَّ عَلَيْه فَرَاحَ سَهْلٌ مَعَ النَّاسِ لَيْسَ بِه بَأْسٌ ..** [3]

البُخْلُ وَحُبُّ الْمَال

« البُخْلُ » هو منع الواجب : أى الامتناع عن إنفاق الْمَال فيما يجب .. والبَخِيلُ : هو الذى كلما أراد أن يُنفق ساءته عطيته وتضرر فلا يستطيع الإنفاق .. وهو أمر يحتاج إلى شىء من التفصيل والتوضيح .. ذلك أن معرفة أساس البُخْل

---

(1) المخبأة : الفتاة فى خدرها ، وهو كناية عن شدة بياضه . (2) لُبط : صُرِع وسقط على الأرض .
(3) رواه مالك فى الموطأ .

لازمة لإلقاء مزيد من الضوء عليه .. **أساس البُخْل** هو حُبُّ المال .. والمال كالْحَيَّةِ لا تؤذى الصائد المتخصص ، ولا تضره ... بل يستطيع أن يستخرج منها الترياَق .. أما من لا يعرف كيف يتعامل معها فإنـــها تلسعُه فيموت بسمِّها .. فكذلك المال فيه خير وشر .. فيه نفع وضر ، والناس فى حُبِّ المال صنفان : صنف يحب المال باعتباره وسيلة ، وصنف يحب المال باعتباره غاية ..

أما **حُبّ الْمَال باعتباره وسيلة** فتنحصر أسبابه فيما يلى :

١- أن يحب المال باعتباره وسيلة لتحصيل الشهوات .. المباح منها والمحظور .. وهذا الصنف يفضل شهواته ، ويقدمها على أى شىء - حتى الواجب - فيغلبها عليه فينفق فيها ، ولا ينفق فيما يجب .

٢- أن يحب المال بسبب طول الأمل فى الحياة .. فيكنـــزه أملاً فى طول العمر .. وإن تيقن هذا الصنف من أن أَجَله ينتهى غدًا ما بخل بالإنفاق .

٣- أن يحب المال من أجل أولاده .. فيمتنع عن إنفاقه فى الواجب معتقدًا أنه بذلك يُؤمِّن مستقبلهم .

٤- أن يحب المال لأنه مضمون فى يده يوفر له الأمان غير واثق بما يأتيه فى الغد ، فتكون ثقته بما فى يده أكبر من ثقته بما فى يد الله .

وأما **حب المال باعتباره غاية** .. فهو حب لغير سبب .. أى حُب المال لذات المال فيحوله من وسيلة إلى غاية ، ويغفل عن وظيفته الأصلية فيكنـــزه ، ويسعد بجمعه ، والنظر إليه ، وعدّه وإحصائه ، والْحِرْص عليه .. حتى إنه قد يبخل على نفسه فلا ينفق فى الضرورات كالغذاء والدواء .. وهذا الصنف من الناس هو أشدهم مرضًا

وعداوة لنفسه إذ إنه يصبح حارسًا على المال حتى يئول من بعده إلى أعدائه لأن البخيل كما هو عدو لنفسه فهو عدوٌّ لِمَنْ حوله ، مَكْرُوهٌ منهم ، يتعجل ورثــته مَوْتَه حتى يحصلوا على ما منعهم منه حال حياته .. ولو تخيل ما سوف ينفقون فيه ماله الذى كنـــزه لهم ما ترك لهم درهمًا !! ..

والناس فى إنفاقهم للمال أصناف :

١- صنف ينفق المال فيما لا يجب أن يُنفَق فيه .. وهؤلاء هم الْمُبَذِّرُون الذين قال الله فيهم : (إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا)[1] .

٢- صنف يحبس المال عن أن يُنفَق فيما يجب .. وهؤلاء هم البخلاء الذين قال الله فيهم : (ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا)[2] .

٣- صنف ينفق المال فيما يجب ، ويحبسه عما لا يجب .. فينفق حيث يجب الإنفاق ، ويمسك حيث يجب الإمساك .. وهذا هو حد الاعتدال المطلوب الذى أوصى الله عز وجل به فى قوله : (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا)[3] ، وقوله : (وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا)[4] ..

---

[1] سورة الإسراء آية ٢٧ . [2] سورة النساء آية ٣٧ . [3] سورة الإسراء آية ٢٩ .

[4] سورة الفرقان آية ٦٧ .

وعليه فإن إمساك الْمَال حيث يجب البذل بُخْلٌ ، وبذل المال حيث يجب الإمساك تَبْذِير ، وبينهما وسط : وهو الاعتدال المحمود والمطلوب .

وقد نَبَّهَنا رسول الله (ﷺ) إلى أن البُخْل يقدح فى الإيمان فقال : (**خَصْلَتَانِ لا تَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ : الْبُخْلُ ، وَسُوءُ الْخُلُقِ**)[1] .. كما نبَّه إلى عاقبة البُخْل فقال : (**اتَّقُوا الظُّلْمَ ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَة .. وَاتَّقُوا الشُّحَّ ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ : حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ**)[2] .. وقال : (**ثَلاَثٌ مُهْلِكَاتٌ : شُحٌّ مُطَاعٌ ، وَهَوىً مُتَّبَعٌ ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِه .. وثَلاَثٌ مُنْجِيَات : خَشْيَةُ الله فِى السِّرِّ والْعَلاَنِيَة ، والْقَصْدُ فِي الْغِنَى والْفَقْرِ ، وكَلِمَةُ الْحَقِّ فِي الرِّضَا والْغَضَبِ**)[3] .. وقال : (**السَّخِيُّ : قَرِيبٌ مِنَ اللَّه ، قَرِيبٌ مِنَ الْجَنَّة ، قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ ، بَعِيدٌ مِنَ النَّارِ .. وَالْبَخِيلُ : بَعِيدٌ مِنَ اللَّه ، بَعِيدٌ مِنَ الْجَنَّة ، بَعِيدٌ مِنَ النَّاسِ ، قَرِيبٌ مِنَ النَّارِ .. وَلَجَاهِلٌ سَخِيٌّ أَحَبُّ إِلَى اللَّه عَزَّ وَجَلَّ مِنْ عَالِمٍ بَخِيلٍ**)[4] ..

وقد كان (ﷺ) يعلمنا الدعاء بقوله : (**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**)[5] ..

---

[1] رواه الترمذى كتاب البر والصلة .

[2] رواه مسلم كتاب البر والصلة .

[3] رواه البيهقى فى شعب الإيمان .

[4] رواه الترمذى كتاب البر والصلة .

[5] رواه البخارى كتاب الدعوات .

وضرب (ﷺ) مثلاً للمُنْفق والْمُمْسك فقال : (**مَثَلُ الْبَخِيلِ وَالْمُنْفِقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ [1] مِنْ حَدِيدٍ مِنْ ثُدِيِّهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا [2] .. فَأَمَّا الْمُنْفِقُ فَلاَ يُنْفِقُ إِلاَّ سَبَغَتْ [3] – أَوْ وَفَرَتْ – عَلَى جِلْدِهِ حَتَّى تُخْفِيَ بَنَانَهُ [4] وَتَعْفُوَ أَثَرَهُ [5] .. وَأَمَّا الْبَخِيلُ فَلا يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيْئًا إِلاَّ لَزِقَتْ [6] كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا ، فَهُوَ يُوَسِّعُهَا وَلا تَتَّسِعُ**)[7] ..

وربنـــا تبارك وتعالى يحث عباده على الإنفاق ، فيقول سبحانه : (وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ)[8] .. ويبشر سبحانه المنفقين بقوله : (وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ)[9] .. ويُنْذِر البخلاء بقوله : (وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم)[10] ..

---

(1) جبتان : درْعان .

(2) أى من الثديين حتى الترقوتين وهما العظمتان البارزتان فى أعلى الصدر بين الكتفين وأسفل العنق .

(3) سبغت : امتدت وغطّت .   (4) تخفى بنانه : أى تستر أصابعه .

(5) تعفو أثره : أي تستر أثره ، والمعنى أن الصدقة تستر خطاياه كما يغطي الثوب الذي يُجَر على الأرض أثر صاحبه إذا مشى بمرور الذيل عليه .

(6) لزقت : انقبضت .   (7) رواه البخارى كتاب الزكاة .

(8) سورة المنافقون الآيتان ١٠ ، ١١ .   (9) سورة التغابن آية ١٦ .

(10) سورة محمد آية ٣٨ .

الوِقَايَةُ مِنَ البُخْل :

هناك **أربع وصايا للوقاية من البُخْل** .. على الإنسان أن يحرص على العمل بـــها فلا يصاب بـــهذا الداء الوبيل :

١- الحرص على أن يكون كسب المال من حلال .. ذلك أن المال إذا اكتُسِبَ من حرام كان سهلاً .. وأدى ذلك إلى الإفراط فى حبه ، بالإضافة إلى أنه كلما كان مصدر المال حرامًا كان إنفاقه فى المحرمات .

٢- بذل المجهود للحصول على القدر اللازم من المال لتغطية الحاجات الضـــرورية فقط والتى خُلِق المال من أجل الحصول عليها ، فقد ورد عن « عمـــر بـــن الخطاب » (رضي الله عنه) قوله : (**لا يقْعُدَنَّ أحدُكُم عن طلبِ الـــرزقِ ويقـــول : اللهمَّ ارْزُقْنِى ، وقد علمتم أن السماءَ لا تُمطِرُ ذهبًا ولا فِضَّة**) .. فعلى المرء أن لا يجرى ويلهث طامعًا فى الحصول على ما يزيد على ذلك فيُصاب بالنَّهَم والشَّرَه .. فإن جاءته الزيادة بغير طَمَع وسَعْى حثيث ، كان بـــها ، وإلاَّ رَضِىَ بِمَا قسمه الله له ، فقد قال النبى (صلى الله عليه وسلم) : (**إنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرٌ حُلْوٌ ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ** [١] **بُورِكَ لَهُ فِيهِ .. وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ** [٢] **لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلا يَشْبَعُ**) [٣] ..

٣- الحرص على إنفاق المال فيما يجب أن يُنفَق فيه ، وحبسه عما لا يجب أن يُنفَق فيه تجنبًا للوقوع فى داء البُخْلِ أو داء التبذير .

---

[١] سخاوة نفس : قناعة . [٢] إشراف نفس : طمع وتطَلُّع . [٣] رواه البخارى كتاب الوصايا .

٤- الحرص على إصلاح النية وخلوصها لله فى الأخذ بالوصايا السابقة ، عملاً بقول الحق تبارك وتعــالى : (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ)[١] .. فقد علمنا أن النية هى أساس الأعمال ، وعليها يكون الثواب أو العقاب ، وبصلاح النية يكون للعادات ثوابٌ كثواب العبادات كما جاء فى قول النبى (ﷺ) : (**إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ ذُرِّيَّتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ ، وَلَسْتَ بِنَافِقٍ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلاَّ آجَرَكَ اللَّهُ بِهَا حَتَّى اللُّقْمَةَ تَجْعَلُهَا فِي فِي**[٢] **امْرَأَتِكَ**)[٣] .. وقولــه : (**وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ .. قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيَأتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ ؟! قَالَ : أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ ، أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلالِ كَانَ لَهُ أَجْرًا**)[٤] (كناية عن مجامعة الرجل زوجته) .

تلك كانت طرق الوقاية .. وإليك طرق العلاج ..

عِلاَجُ الْبُخْل :

١- إذا كان حُبُّ المال من أجل إرضاء الشهوات (شهوة البطن وشهوة الفرج) فعليه بتحَرِّى المباح فقط ، والابتعاد عن المحظور ، واســتغلال العقــل فى السيطرة على الشهوات .

---

[١] سورة الأنعام آية ١٦٢ . [٢] في : فَم . [٣] رواه البخارى كتاب المناقب .
[٤] رواه مسلم كتاب الزكاة .

٢- إذا كان حُبُّ المال راجعًا إلى طول الأمل ، وتوقع الحياة الطويلة والعمر المديد .. فعليه أن يتذكر أن الموت نهاية كل حى ، وأن الإنسان لا يضمن عمره ، وقد ينتهى الأجل فجأة دون إنذار ، فإذا أصبح فلا ينتظر المساء ، وإذا أمسى فلا ينتظر الصباح .. بل إذا تنفَّسَ نَفَسًا فلا ينتظر أن يخرجه ، فقد يكون آخر أنفاسه .. وما الحياة إلا أنفاس معدودة فى أماكن محدودة .

٣- إذا كان حُبُّ المال من أجل تأمين مستقبل أولاده فليتدبر القرآن الكريم ، وكيف رسم لنا الطريق إلى هذا التأمين بقول الحق تبارك وتعالى : (وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا)[1] .. وليعلم أنه إنما يجمع المال لواحد من اثنين : لولد صالح يعمل فيه بطاعة الله ، فيسعد بما شقى هو به .. أو لولد فاسق يعمل فيه بمعصية الله ، فيشقى بما جمع له .. فعليه أن يثق لهم بما عند الله القائل : (وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ)[2] .. والقائل : (وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ)[3] .. ويثق بقول الصادق المصدوق (ﷺ) : (**مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ**)[4] .

٤- إذا كان حُبُّ المال لعدم ثقته بما سوف يأتيه فى المستقبل منه ، فعليه أن يتذكر أنه : وُلِدَ عاريًا فكساه الله ، وأطعمه ، وسقاه ، وألهمه التقام ثدى أمه ، وأجرى فيه اللبن دون جهد ودون سؤال .. وأن ما اكتسبه من مال

---

(١) سورة النساء آية ٩ . (٢) سورة الذاريات آية ٢٢ . (٣) سورة سبأ آية ٣٩ .
(٤) رواه الترمذى كتاب الزهد .

فبفضل الله وليس بمجهوده وتدبيره .. فكم من مجتهد محروم ، وكم من خامل مرزوق .

٥- إذا كان حب المال من أجل المال ، فلابد من توبة .. وعليه أن يعلم أنه لن يشبع من هذا المال مهما جمع .. فالله تبارك وتعالى يقول فى الحديث القدسى : (**إِنَّا أَنْزَلْنَا الْمَالَ لإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَلَوْ كَانَ لابْنِ آدَمَ وَادٍ لأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ إِلَيْهِ ثَانٍ ، وَلَوْ كَانَ لَهُ وَادِيَانِ لأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ إِلَيْهِمَا ثَالِثٌ ، وَلا يَمْلأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلاَّ التُّرَابُ ، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ**)[١] .

حُبُّ الْجَاه

« الْجَاهُ » : هو الاشتهار وذيوع الصيت ، واكتساب المنـــزلة الطيبة فى قلوب الناس .. والمال والجاه هما ركنا هذه الدنيا ، فكما أن المال يؤدى إلى الحصول على المطلوب والمقصود ، فكذلك الجاه .

وحُبُّ الجاه أشد خطرًا من حُبِّ المال .. ذلك أن المال يحتاج إلى مشقة فى جمعه ، وجهد فى تنميته ، وعناء فى الحفاظ عليه .. أما الجاه فلا يحتاج فى تحصيله إلى جهد ، ولا فى حفظه إلى حراسة ، كما أنه ينمو تلقائيًّا بلا مشقة ، بالإضافة إلى أن المال لا يأتى بالجاه .. وأما الجاه فيأتى بالمال بِيُسْر وسهولة .. وخطورة حب الجاه أنه يقود الإنسان إلى التودد إلى الخلق حتى يمتلك قلوبـــهم طوعًا ، فيصبح الأحرار عبيدًا له ،

---
[١] رواه أحمد مسند الأنصار .

فيصرفه ذلك عن التودد إلى الخالق سبحانه وتعالى ..

ويوقعه فى محظورات عديدة منها :

١- الكذب ، والخداع ، والاحتيال للحصول على الجاه أو الحفاظ عليه .

٢- الاجتهاد فى إخفاء كل ما هو قبيح وذميم عن الناس ، بدلاً من بذل الجهد لعلاج ذلك أو العمل على التخلص منه .

٣- سلوك طرق غير مشروعة : كادِّعَاء الورع ، والتقوى ، والأمانة ، والسخاء ، وحب الناس ، وقضاء مصالحهم للوصول إلى المنــزلة فى قلوب الخلائق .. فيوقعه ذلك فى الرياء الذى يحبط عمله ويورده موارد التهلكة ، إذ هو الشرك الخفى .

٤- تزكية النفس عند الناس ، وانطلاق الألسِنَة بالمديح والثناء والإطراء ، والتفاف الناس حوله متبركين به ، طالبين دعواته ، حريصين على رضاه ، فيرضى بحمد الناس له دون رضا الله عنه ، مما يوقعه فى إرادة العُلُوِّ فى الأرض .. وقد قرن الله تبارك وتعالى هذه الإرادة للعُلُوِّ فى الأرض بإرادة الفساد ، وجعل الجنة لمن خلا قلبه من الإرادتين جميعًا فقال : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[1] .

ولذلك كان من نصيحة الشيوخ قولهم : (**إن استطعت أن تَعرف ولا تُعرف فافعل .. وإن استطعت أن تَسْأَل ولا تُسْأَل فافعل .. وإن استطعت أن تَمْشِى ولا**

---

[1] سورة القصص آية ٨٣ .

يُمشى إليك فافعل) .. ويقول المصطفى (ﷺ) : (**كَمْ مِنْ أَشْعَثَ** [١] **أَغْبَرَ** [٢] **ذِي طِمْرَيْنِ** [٣] **لا يُؤْبَهُ لَهُ ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ** [٤] **!! مِنْهُمُ الْبَرَاءُ بْنُ مَالكٍ)**[٥] .. ويقول : (**أَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّة : كُلُّ ضَعِيفٍ ، مُتَضَعَّفٍ ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ .. وَأَهْلِ النَّارِ : كُلُّ جَوَّاظٍ** [٦] **، عُتُلٍّ** [٧] **، مُسْتَكْبِرٍ)**[٨] .

هذا .. وهناك قدر محدود ومباح من حب الجاه .. فالإنسان فى هذه الحياة محتاج إلى زوجة ، وإلى صديق أو أخ فى الله ، وإلى مُعَلِّم وَمُرْشِد ، وإلى من يعاونه فى أمور الحياة عمومًا .. والحرص على وجود منــزلة له فى قلوب هؤلاء أمر طبيعى ومباح بشرط ألا يكون الوصول إلى هذا القدر المباح عن طريق محظور أو غير مباح .. وإليك بيان ذلك :

١- ألا يكون الجاه بعينه هو المطلوب والمحبوب ، بل يكون الحصول عليه من أجل الوصول إلى المقصود ، وهو المنــزلة فى قلوب من يعاشرهم ، ويحتاج إلى مودتــهم فى حياته .

٢- الاكتفاء بالقدر المسموح به من الجاه للحصول على الضرورات ، دون التوسع فيه ، وتجاوز الحد .

٣- ألا يتوصل إلى القدر المباح من الجاه عن طريق غير مشروع : كالغش ،

---

[١] أشعث الشعر : ملبد مغبر الشعر غير ممشط .
[٢] أغبر : أى على رأسه التراب .
[٣] ذى طمرين : صاحب ثوبين باليَيْن .
[٤] لأبره : لأجابه وجعله بارًّا فى قسمه .
[٥] رواه الترمذى كتاب المناقب .
[٦] الجواظ : الفَظّ الغليظ المتكبر فى مشيته .
[٧] العتل : الجافى الشديد الخصومة بالباطل .
[٨] رواه البخارى كتاب الأيمان والنذور .

والخيانة ، والكذب ، والنفاق ، والرياء .

٤- عدم ادعاء صفات حميدة ، هو غير متخلق بـــها ، أو افتعال أعمال طيبة لمجرد إبدائها للناس دون اقتناع القلب بـــها ، وإخلاصه فى أدائها .

٥- ألا يهدف من وراء الجاه إلى الحصول على المال .. وإلا كان اكتساب المال عن هذا الطريق حرامًا .

٦- ألا يبتغى بطاعة الله الجاه عند الناس .. وإلا وقع فى شباك الشِّرك الخفى .. بل يطلب بطاعته رضا الله سبحانه وتعالى .

٧- أن يخفى معاصيه ، ويستر مساوئه بستر الله له .. محاولاً إصلاح نفسه ، والتخلى عن القبيح من فعاله .. وليس من أجل الاحتفاظ بمنـــزلته فى قلوب الناس .

٨- ألا يغتر بمدح الناس له وثنائهم عليه مهما وافق ذلك الحقيقةَ ، بل يحاول أن يكون خيرًا مما يظنون .

علاج حُبِّ الْجَاه :

مَنْ غلب على قلبه حُبُّ الجاه صار مقصورَ الْهَمِّ على مراعاة الخلق ، شغوفًا بالتودد إليهم ، طالبًا المنـــزلة فى قلوبـــهم .. فيضطر إلى التظاهر بخصال حميدة هو خال منها .. وذلك هو النفاق الذى يؤدى إلى الرياء والشرك الخفى .. لذا كان العلاج واجبًا ، وإليك بيانه :

١- العلم بأن الجاه الحقيقى عند الله تبارك وتعالى ، فهو المالك للدنيا والآخرة ، وهو المالك لقلوب العباد ، القادر على غرس محبتك فيها ، كما جاء فى

الحديث : (**إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ : إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلانًا فَأَحْبِبْهُ ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ : إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلانًا فَأَحِبُّوهُ ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الأَرْضِ**)[1] .

٢- العلم بأن الجاه عَرَض زائل ، وأنه ليس من الباقيات الصالحات ، ولا يوضع فى ميزان العبد يوم القيامة .. بل قد يُسأل عنه ويُحاسب عليه .

٣- العلم بأن مَنْ يملكون الجاه لا يعيشون حياتهم فى سعادة غامرة .. وإنما يدفعون ثمنه من حريتهم الشخصية .. فهم واقعون تحت مراقبة العيون لحركاتهم وسكناتهم ، ويُشارُ إليهم بالبَنَان فى كل مكان .. هذا بالإضافة إلى قلقهم وخوفهم على هذا الجاه من الزوال .

٤- العلم بأن صاحب الجاه معرض للحسد ، والحقد ، والكراهية ، والإيذاء ، وتشويه السمعة ، ومحاولة الإيقاع به لنزع الجاه عنه .

٥- العلم بأن السعى للجاه مدعاة للمراءاة ، والنفاق ، والكذب ، والادّعاء .. وكلها من المحظورات المهلكة .

٦- العلم بأن حُبَّ الجاه قد يُعَرّض الإنسان لأن يشترى الدنيا بالآخرة ، إذ إن دخول حُبِّ الجاه إلى القلب يُخْرِج منه الإخلاص لله وابتغاء رضاه .

٧- قطع الطمع فيما فى أيدى الناس ، والطمع فيما عند الله .

٨- كسب القوت بعمل اليدين ، وليس بادِّعاء الدِّينِ والتقوى .

٩- ابتغاء وجه الله الكريم بالعبادة والتقوى والعمل الصالح .

---

[1] رواه البخارى كتاب بدء الخلق .

١٠- إخفاء الأعمال الصالحة من النوافل قدر الإمكان .. فلا يُظْهِر للناس إلا ما يجب إظهاره وإعلانه من الفرائض .

الرِّيَاء

« الرِّيَاءُ » : هو طلب المنـــزلة فى قلوب الناس بالعبادة على وجه الخصوص .. فإذا توصل الإنسان إلى الجاه عن طريق إظهار الطاعة والعبادة لله قاصدًا ذلك فهذا هو المرائى ، لأنه قصد الخلائق بطاعة الله و لم يقصد الخالق .

وكلمة « **رِيَاء** » مشتقة من كلمة : « رُؤْيَة » .. أى : حب رُؤْيَةِ الناس للأعمال والعبادات .. والرِّيَاء بـــهذا المعنى شِرْك خَفِىّ ، وهو مذموم فى كتاب الله تعالى فى مواضع عديدة منها : (فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ)[1] .. (إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا)[2] .. (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ)[3].. ويقول الرسول (ﷺ) : (**إِنَّ أَخْوفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُم : الشِّرْكُ الأَصْغَرُ .. قالوا : وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ ؟! .. قال : الرِّيَاءُ ، إِنَّ اللهَ يَقُول يَوْمَ يُجَازِي الْعِبَادَ بِأَعْمَالِهم : اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونُ فِى الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُون عِنْدَهُمُ جَزَاءً أَو خَيْرًا ؟!**)[4] .. ويقول الصحابى « شَدَّادُ بْنُ

---

[1] سورة الماعون الآيات من ٤ : ٧ . [2] سورة النساء آية ١٤٢ . [3] سورة البقرة آية ٢٠٤ .
[4] رواه البيهقى فى شُعَب الإيمان .

أَوْسٍ » (رضي الله عنه) : **سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه** (ﷺ) **يَقُولُ : (أَتَخَوَّفُ عَلَى أُمَّتِي الشِّرْكَ ، وَالشَّهْوَةَ الْخَفِيَّةَ .. قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّه ، أَتُشْرِكُ أُمَّتُكَ مِنْ بَعْدكَ ؟! قَالَ : نَعَمْ ، أَمَا إِنَّهُمْ لا يَعْبُدُونَ شَمْسًا وَلا قَمَرًا وَلا حَجَرًا وَلا وَثَنًا** [1] ، **وَلَكنْ يُرَاءُونَ بِأَعْمَالِهِمْ .. وَالشَّهْوَةُ الْخَفِيَّةُ : أَنْ يُصْبِحَ أَحَدُهُمْ صَائِمًا فَتَعْرِضُ لَهُ شَهْوَةٌ مِنْ شَهَوَاته فَيَتْرُكُ صَوْمَهُ)**[2] .. وقد رأى « عمر بن الخطاب » (رضي الله عنه) رجلاً يُطَأْطِئ رقبته فقال : **(يا صاحب الرقبة ، ارفع رقبتك ، ليس الْخُشُوع فى الرِّقَاب ، إِنَّما الْخُشُوع فى القلب)**[3] .. ويقول النبى (ﷺ) : **(مَنْ سَمَّعَ ، سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ .. وَمَنْ يُرَائِي ، يُرَائِي اللَّهُ بِهِ)**[4] ..

ويُحَذِّر (ﷺ) من عاقبة الرياء فى الآخرة ، وأنه يؤدى إلى النار فيقول : **(إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى** [5] **يَوْمَ الْقِيَامَة عَلَيْه : رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ ، فَأُتِيَ بِهِ ، فَعَرَّفَهُ نعمَهُ فَعَرَفَهَا .. قَالَ : فَمَا عَملْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ .. قَالَ : كَذَبْتَ ، وَلَكنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ ، فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِه فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِه حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ .. وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ ، فَأُتِيَ بِه ، فعرَّفَهُ نعمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ : فَمَا عَملْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : تَعَلَّمْتُ الْعلْمَ وَعَلَّمْتُهُ ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ .. قَالَ : كَذَبْتَ ، وَلَكنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ ، فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِه فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِه حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ .. وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ ، فَأُتِيَ بِهِ ، فَعَرَّفَهُ نعمَهُ فَعَرَفَهَا ،**

---

[1] الوثن : الصنم . [2] رواه أحمد مسند الشاميين . [3] كتاب الكبائر للذهبى .
[4] رواه البخارى كتاب الرقاق . [5] يُقْضَى : يُحْكَم .

قَالَ : فَمَا عَملْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلاَّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ .. قَالَ : كَذَبْتَ ، وَلَكنَّكَ فَعلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ ، فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ)[1] .. فالرياء لم يحبط أعمالهم فقط ، بل قادهم إلى جهنم والعياذ بالله ..

وللرِّيَاء أركان ثلاثة :

١- **قَصْدُ الرِّيَاء** ، وهو النية فى القلب .

٢- **مُرَاءًى بِهِ** ، وهو الأعمال الصالحة والطاعات على وجه الخصوص .

٣- **مُرَاءًى مِنْ أَجْلِه** ، وهو الحصول على أمر من أمور الدنيا ، سواء أكان مباحًا أم كان محظورًا .. وبتفاوت درجات هذه الأركان تتفاوت خطورة مرض الرياء ، وتتراوح درجاته بين المكروه والحرام .. وإليك البيان :

أولا – قَصْدُ الرِّيَاء :

١- إِذَا قَصَدَ بِعبَادَتِه أو أعماله الرِّيَاءَ فَقَط : بحيث إن لم يره أحد من الناس لم يأتِ بـــهذه العبادات أو الأعمال أصلاً .. فهذا عبادته مرفوضة مردودة عليه ، لا يجنى منها إلا مقت الله وغضبه .

٢- إِذَا قَصَدَ بِأَعْمَالِهِ الثَّوابَ والرِّيَاءَ معًا : فبعض العلماء يرى أن هذا العمل لا ثواب له ، ولا وزر فيه ، بينما يرى البعض الآخر أن قصد الرياء محبط للعمل ، ومؤاخذ صاحبه على نية الرياء .

---

[1] رواه مسلم كتاب الإمارة .

٣- إِذَا غَلَبَ قَصْدُ الرِّيَاءِ عَلَى قَصْدِ الثَّوابِ : حَبطَ عَمَلُهُ باتِّفاق .. أما إذا غلب قصد الثواب قصد الرياء فقد رأى بعض العلماء أنه مثابٌ على قدر قصده الثواب ، معاقبٌ على قدر قصده الرياء .

ثانيا – الْمُرَاءَى به :

١- أن يُرائى بأصل العقيدة فيُظْهِر الإيمان ويُبْطِن الكفر .. وهذا هو أغلظ أنواع الرياء ، وصاحبه مخلد فى النار لأنه جمع بين وزر الكفر فى الباطن ، ووِزر النفاق فى الظاهر .. وقد جاء ذكر هذا الصنف من الناس كثيرًا فى القرآن ، مثل : (إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ)[1] .. (وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ)[2] .. (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ)[3] .. وهؤلاء قد توعدهم الله تبارك وتعالى بأقصى درجات العذاب فقال : (إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا)[4] .

٢- أن يُرائى بالفرائض مع بقاء عقيدة الإسلام فى قلبه .. فهو يتكاسل عن أدائها إذا كان منفردًا ، ولكنه مُقِرٌّ بفرضيتها ويؤديها أمام الناس فقط .. وهؤلاء حكم عليهم العلماء بالفِسْق لعدم أدائهم الفرائض .. وبأنهم

---

[1] سورة المنافقون آية ١ . [2] سورة آل عمران آية ١١٩ . [3] سورة البقرة آية ٨ .

[4] سورة النساء آية ١٤٥ .

مُعَاقَبُون عقاب المرائين ، لكنهم لا يخلدون فى النار ، وإنما يمكثون فيها بقدر ما يستحقون على ريائهم .

٣- أن يُرائى بالنوافل .. والعبد مطالب بالفرائض فقط ، فإن أتى بالنوافل أُثِيب عليها إن كان مخلصًا فيها ، وجبرت ما اعتور الفرائض من نقص غير مقصود .. أما إذا راءى بـــها فإنه يصبح آثِمًا ، ويُعَاقب عقاب الْمُرائين .

٤- أن يُرَائى بصُورة العبادة .. كأن يُطيل الركوع والسجود على خلاف عادته ، أو أن يظهر الخشوع فيطأطئ رأسه وما إلى ذلك .. فهذا قد ينقص من ثوابه .. وأمره مفوض إلى الله : إن شاء عاقبه ، وإن شاء عفا عنه .

٥- أن يُرَائِى بالْمَظْهَر كأن يطلق لحيته ، أو يلبس الثياب القصيرة التى لا تغطى الكعبين ، أو يلبس الثياب الخشنة والمتواضعة ويمسك المسبحة يتمتم عليها ، أو يتقعر فى كلامه ويتلو بعض الآيات أو الأحاديث ، أو يَدَّعِى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وما إلى ذلك من أجل الناس .. وحساب هذا يتوقف على غرضه من هذا الرياء ، ومقصوده منه .

٦- أن يُرَائى بعلاقته بِمَن اشتهروا بالعلم والصلاح .. فيتودد إليهم ، ويُسَخِّرُ نفسه لخدمتهم ، ويحف بـــهم فى مجالسهم ليس حبًّا فيهم ، وإنما لكى يعتقد الناس أنه على شاكلتهم أو آخذ عنهم ، متبع لهم ، سالك لسلوكهم .. وهذا يتوقف حسابه على مراده من ذلك .

ثالثا – الْمُرَاءَى لأَجْله :

١- أن يُرَائِى بالطاعة للوصول إلى المعصية – والعياذ بالله – كصاحب تجارة ،

أو مهنة ، أو حرفة .. إلخ .. يُطْلق لحْيَته ، ويُظْهر العبادات ، ويحج بيت الله الحرام ، فيُشتهر بين الناس بالصلاح فيتعاملون معه على هذا الأساس وهو لهم غاش .. وهؤلاء حسابـــهم شديد ، وعقابـــهم فظيع .

٢- أن يُرَائِى بالطاعة للوصول إلى متاع الدنيا من الأمور المباحة .. كأن يتزوج من ابنة رجل صالح ، أو أن يجد عملاً يقتات منه ، أو أن يترقى فى وظيفته ، أو يجد مسكنًا لأسرته .. وما إلى ذلك .. وهذا الصنف من الناس أمره مُفوَّض إلى الله .

٣- أن يُرَائِى بالطاعة خوفًا من سخط الناس أو من أن يصغر فى أعينهم .. وقد غفل هذا المرائى عن أن إرضاء الخلق من الأمور التى لا تُدْرَك ، وأن مَنْ أحبه كل الناس كان مُنَافقًا .. ومن كرهه كل الناس كان فاجرًا ، وأن مذمة الناس ومدحهم لا تزيد ثواب الله ، ولا تنقصه ، وإنما العبرة بنظر الله تبارك وتعالى إلى العبد .

هذا .. والرِّيَاءُ نوعان : « رياء جَلِىٌّ » ، و« ريَاءٌ خَفِىٌّ » ..

أما « **الرِّيَاءُ الْجَلِىُّ** » : فهو الذى يكون دافعًا للأعمال أو سببًا لإظهارها .. وأما « **الرِّياءُ الْخَفِى** » : فهو داء مستبطن فى القلب أخفى من دبيب النمل لا يكون دافعًا إلى الأعمال ، وإنما يظهر بعد الشروع فيها : مثل أن يقف الإنسان للصلاة قاصدًا الطاعة ، ومبتغيًا وجه الله تعالى ، فيدخل عليه أحد الناس ، فَيُسَرُّ برؤيته له على هذه الحالة من الطاعة أو العبادة .. فإن صرف هذا الخاطر عنه دون إبطاء : فلا إثم عليه ، أما إذا استقر الخاطر فى قلبه فدفعه إلى الإطالة فى القراءة ، أو الخشوع فى

حركاته ومظهره : فإن صلاته تبطل .. فقد قال رسول الله (ﷺ) : (**إِنَّمَا الأَعْمَالُ كَالْوِعَاءِ : إِذَا طَابَ أَسْفَلُهُ طَابَ أَعْلاهُ ، وَإِذَا فَسَدَ أَسْفَلُهُ فَسَدَ أَعْلاهُ**)[1] .. فإنك إن شربت شرابًا من إناء ، ثم اكتشفت وجود شوائب فى آخره ، فلابد أن تكون الشوائب قد أثرت على أوله .. وهناك مَنْ ينتظر على طاعته أن يُوَقِّره الناس ويقوموا له ، ويقضوا حوائجه ، ويقدموه فى مجالسهم ، فإذا لم يَحْظَ بذلك تضايق واغتاظ .

وهناك مَنْ يُحَدِّث الناس بطاعته ، وأعماله الصالحة مبتغيًا بذلك الثناء عليه ، أو الإعجاب به ، مما قد يوقعه فى الكذب والمبالغة والتدليس .

وكل ذلك من أنواع الرياء الْخَفِى الذى قد يحبط الأعمال .. أعاذنا الله تبارك وتعالى منه بفضله وكرمه .

عِلاج الرِّياء :

لَمَّا كان الرِّيَاءُ مُحبِطًا للأعمال ، وسببًا لِمَقْت الكبير المتعال ، اعتبره العلماءُ من كبائر المهلكات التى يجب على المسلم أن يَتَنَبَّه لها ، ويتقى شر الوقوع فيها بمعرفة بواعثها ودوافعها ، والعمل على النجاة منها ، والمسارعة إلى العلاج .. وإليك البيان :

١- العلم بأن الباعث على الرياء هو : سرور النفس بالثناء والحمد ، وتألمها بالذم والانتقاص ، وطمعها فيما فى أيدى الناس .. وقد يوضح ذلك ما ورد عن النبى (ﷺ) حين سُئِلَ عَنِ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ شَجَاعَةً [2] ، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً [3] ، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً ، أَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؟ فَقَالَ (ﷺ) : (**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ**

---

[1] رواه الترمذى كتاب الزهد .

[2] أى يراه الناس مقاتلا شجاعًا فيهابوه ويوقروه .

[3] أى يأنف أن يُذم بأنه مقهور مغلوب .

كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) [1] ..

٢- مُرَاقَبَةُ النفس مراقبة شديدة كما لو كان يراقب عدوًّا يتربص به .. حتى يتأكد من خلوص طاعته لله عز وجل .. فقد قال النبى (ﷺ) : (**أَعْدَى عَدُوِّكَ : نَفْسُكَ الَّتِى بَيْنَ جَنْبَيْكَ)**[2] ..

٣- العلم بأن خير دواء للرياء هو الْخَفَاء .. فعليه أن يخفى عباداته ، وطاعاته ، وأعماله الصالحة – التى ليست من الفرائض – قدر إمكانه عن الناس .. أما الفرائض ففى إظهارها فائدة الاقتداء ، والترغيب فى الخير ، وإعلان شعائر الإسلام .. وربنا تبارك وتعالى يقول : (إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)[3] .. فقال العلماء : (إن المقصود بالإبداء والإظهار : هو الزكاة المفروضة ، والمقصود بالإخفاء : هو صدقة التطوع) .

٤- العلم بأن مدح الناس أو ذمهم لا يفيد العبد ولا يضرّه مادام عمله خالصًا لوجه الله .. فعليه أن يقصر هَمَّه على رضا الله تبارك وتعالى ، لأن رضاء الخلق من الأمور التى لا تُدْرَك .

٥- العمل على دفع السرور الذى قد يعترى النفس من رؤية الناس لعبادته وعمله الصالح حتى لا يقع فى المحظور ، وأن يكون مناط السرور هو الفرح بفضل الله ونعمته .. فالله تبارك وتعالى يقول : (قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ

---

[1] رواه مسلم كتاب الإمارة .   [2] رواه البيهقى فى الزهد .   [3] سورة البقرة آية ٢٧١ .

فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) [1] .

٦- اللجوء إلى الله تبارك وتعالى وسؤاله النجاة من شبهات الرياء .. وإن مدحه مادح فعليه - حتى لا يقع فى المحظور - أن يقول كما أُثِر عن بعض السلف : **(اللَّهُمَّ أَنْتَ أَعْلَمُ بِي مِنْ نَفْسِي ، وأَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنَ النَّاس .. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِى مَا لاَ يَعْلَمُونَ ، وَلاَ تُؤاخِذْنِى بِمَا يَقُولُون ، واجْعَلْنِى خَيْرًا مِمَّا يَظُنُّونَ)** [2] ..

الْعُجْب

« العُجْب » : هو استعظام النعمة ، والركون إليها وعدم نسبتها إلى الْمُنْعِم .. وهو يختلف عن الكِبْر فى أن الكِبْر يستلزم أن يكون لدى المتكبر ما يتكبَّر به ، وأن يكون هناك مَنْ يتكبَّر عليه ، أما العُجْبُ فهو إعجاب المرء بنفسه أو بعقله ، أو بأى صفة من صفات الكمال أو الجمال ، وإن كان كمالاً وهْميًّا .. ولو لم يكن معه أحد من الناس وكان وحيدًا فى مكان ، فهو معجب بهذه الصفة ، مطمئن إليها ، معتقد دوامها ، غافل عن الْمُنْعم - سبحانه وتعالى - الذى تفضَّل عليه بإنعامه وإحسانه .. بل قد يزيد على ذلك ، فيعتقد أنه مُكْرَم لِذَاته ، مستحق لهذه النعم .. وقد يصل به الأمر إلى اعتقاد أنه سوف ينال مثلها فى الآخرة ، أو أفضل منها ، فيقوده كل ذلك إلى الكفر بنعمة الله تبارك وتعالى .. وقد جاء فى القرآن مثال لذلك

---

[1] سورة يونس آية ٥٨ .

[2] رواه البيهقى فى شعب الإيمان .

فى قول الحق تبارك وتعالى : (وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا)[1] ..

وكذلك فى قوله عز وجل : (وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ)[2] ..

كما أن العجب قد يؤدى بصاحبه إلى الافتخار ، فينطلق لسانه بذكر محاسنه وما يتمتع به من صفات ، وقد يستبد بنفسه ورأيه ، فلا يستجيب لنصح ناصح ، ويستنكف أن يسأل عما لا يعلم فيزداد جهلاً على جهل .. وقد جاء فى القرآن الكريم أمثلة كثيرة لهذا الداء ، والباعث عليه من مختلف النعم التى أطغت أصحابها فنسبوها إلى أنفسهم و لم ينسبوها إلى الله .. وإليك البيان :

١- العُجْبُ بالقُوَّة :

(فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً)[3] ..

ويلاحظ أن صفة القوة لم تكن حقيقية فيهم ، وأن إعجابهم بهذه الصفة كان وَهْمًا .. وكاد هذا المرض أن يصيب بعض الصحابة – الذين هم أفضل القرون – لولا أن تداركهم الله برحمته .. كما حكى القرآن الكريم عنهم : (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ)[4] .. وكان هذا فى غزوة « حُنَيْن » حين قال بعضهم : لن نُغْلَبَ اليوم من قِلّة .. فأوكلهم الله إلى قوتهم التى أعجبوا بها ،

---

[1] سورة الكهف آية ٣٦ . [2] سورة فصلت آية ٥٠ . [3] سورة فصلت آية ١٥ .

[4] سورة التوبة آية ٢٥ .

فانـــهزموا وأدبروا أمام عدوهم ، ثم تاب الله عليهم ، كما جاء فى قوله تعالى : (ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟)[1] ..

٢- العُجْب بالْمَالِ والْوَلَد :

(وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۝٣٤ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ)[2] ..

وهؤلاء أيضًا لم يكونوا محقين ، إذ رَدَّ الله تبارك وتعالى قائلا : (قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٦ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ)[3] ..

٣- العُجْبُ بالعَمَل :

(أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ)[4] .. (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا)[5] ..

والآيات تشير إلى أن إعجاب هؤلاء بأعمالهم أعْمَاهم عن حقيقتها ، وهَيَّأ لهم أنـــها طَيِّبَة وصالحة وهى – فى حقيقتها – أعمال سيِّئة ضَالَّة أهلكت أصحابـــها

---

[1] سورة التوبة آية ٢٦ . [2] سورة سبأ الآيتان ٣٤ ، ٣٥ . [3] سورة سبأ الآيتان ٣٦ ، ٣٧ .

[4] سورة فاطر آية ٨ . [5] سورة الكهف الآيتان ١٠٣ ، ١٠٤ .

من حيث لا يشعرون ..

كما أن إعجاب الْمَرء بعمله قد يفسده - ولو كان عملاً صالِحًا فى أصله - مثل ما جاء فى قوله تبارك تعالى : (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ)[1] .. والْمَنُّ لا يكون إلا من استعظام الْمُنْفق لنفقته ، وإعجابه بإنفاقه .. وكما حدث من بعض الأعراب حين تملَّكهم العُجْبُ بإسلامهم ، فحكى القرآن عنهم : (يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ ۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَىَّ إِسْلَـٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَـٰنِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ)[2] ..

ويلاحظ من كل ماسبق أن العُجْبَ وَهْمٌ كبير يَكْمُن وراءه الشيطان لِيُضل به الإنسان عن الحق ، أو لِيُفْسد به عمله الصَّالِح ويُحْبِطَه .. وأساس هذا الدَّاء رؤية الإنسان للنعمة بأسلوب يحجب عنه رؤية الْمُنْعِم الذى إن شاء أعطى وإن شاء أمسك ..

كيفَ يَرَى النَّاسُ النِّعْمَة ؟! ..

١- صنف يعلم أن النعمة مِنَّة من الله وفضل ، فلا ينسبها إلى نفسه ، ولا تحجبه عن رؤية الْمُنْعِم ، فيشكر الله عليها ، ويشفق من زوالِها وعدم دوامها .. فالْمَانِح مَانِع ، والبَاسِط قَابِض .. ولا يكون مطمئنًّا لكمالِها ، ويخشى أن يكون مُقَصِّرًا فى أداء ما عليه فيها .. فلو كانت طاعة لله مثلاً لرأى فى نفسه التقصير ، ولو ضمن كمالها لم يضمن قبولها ، فهو على وَجَل

---

[1] سورة البقرة آية ٢٦٤ .

[2] سورة الحجرات آية ١٧ .

من ذلك .. وهؤلاء يقول الله تبارك وتعالى عنهم : (إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ)[1] .. والإشفاق خوف مع زيادة اعتناء .. ومن هؤلاء « عمر ابن الخطاب » – أفضل الصحابة بعد « أبى بكر الصديق » – الذى رُوِى أنه أخذ تِبنَةً مِنَ الأَرْضِ فَقَال : (**لَيْتَنِي هَذه التِّبنَةُ ، لَيْتَنِي لَمْ أَكُ شَيْئًا ، لَيْتَ أُمِّى لَمْ تَلِدْنِي ، لَيْتَنِي كُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا**)[2].. وحين طُلِب منه أن يَسْتَخْلِف وهو مَطْعُون قد خرجت أحشاؤه قال : (**وَدِدْتُ أَنِّي نَجَوْتُ مِنْهَا كَفَافًا ، لا لِي ، وَلا عَلَيَّ ، لا أَتَحَمَّلُهَا حَيًّا وَلا مَيِّتًا**)[3] .. يقول ذلك وهو الإمَامُ الأَوَّابُ ، النَّاطِقُ بالصَّوَابِ ، الْمُوَافِقُ حُكْمُهُ حُكْمَ الكِتَاب ، الَّذِى قَال للنَّبِى : احْجُبْ نِسَاءَك ، فَنَــزَلت آيَةُ الْحِجَاب .. والذى قال فيه رَسُولُ الْمَلِك الوَهَّاب : (**لَوْ كَانَ بَعْدِي نَبِيٌّ ، لَكَانَ عُمَرَ ابْنَ الْخَطَّابِ**)[4] ..

٢– صنف يعلم أن النعمة من الله ، فيشكره عليها ويفرح بــها من منطلق : (قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ)[5] .. ولكنه غير مشفق من زوالِها ، ولا يشعر بالوجل أو الخوف من التقصير فى

---

[1] سورة المؤمنون الآيات من ٥٧ : ٦٠ .
[2] رواه البيهقى فى شعب الإيمان .
[3] رواه البخارى كتاب الأحكام .
[4] رواه الترمذى كتاب المناقب .
[5] سورة يونس آية ٥٨ .

أداء حقها .. قد أَلْهَتْه النعمة عن الاهتمام بما اهتم به السابقون .. وهذا الصنف على خطر من أن ينـــزلق إلى صفوف الصنف الثالث .

٣- صنف يفرح بالنعمة ويركن إليها فتحجبه عن الْمُنْعِم ، فلا ينسب النعمة إليه بل ينسبها إلى نفسه ويرى أنه استحقها عن جدارة ، وهذا هو الصنف الذى أصابه داء العُجْب وتَمَكَّن من قلبه .. وإذا لم يتدارك نفسه بالعلاج هلك .. ويقول النبى (ﷺ) : (**ثَلاَثٌ مُهْلِكَاتٌ : شُحٌّ مُطَاعٌ ، وَهَوىً مُتَّبَعٌ ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ**)[1] ..

كما أن داءِ العُجب إذا تَمَكَّن من الإنسان أدى به إلى :

أولا : أن يغفل عن ذنوبه ، أو يستحقرها فلا يستغفر منها أو يقلع عنها .

ثانيا : أن يستعظم طاعته وعبادته فَيَمُنّ بـــها على الله ..

ثالثا : أن يستبد بنفسه وبرأيه وعقله ، فلا يستمع لنصح ناصح .. ولا يسأل عن شىء لا يعلمه ، فيزداد جهلاً على جهل ، ويصاب بأمراض أخطر وأفدح .

عــلاجُ العُجْــب :

يتلخص علاج العُجب فى الأمور الآتية :

١- العلم بأن النعم بجميع أنواعها وأشكالها من : مال ، وجاه ، وجمال ، وقُوَّة ، وطاعة ، وصلاح ، ونسب – من فضل الله ، وليس باستحقاق العبد ، أو بجهده ، أو بتدبيره : (وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ)[2] ..

---

[1] رواه البيهقى فى شعب الإيمان .

[2] سورة النحل آية ٥٣ .

٢- العلم بأن نعم الدنيا غير دائمة ، وأنـــها إلى زوال : إما بانتقالها عنك ، أو بانتقالك أنت عنها .. فالموت قادم لا محالة : (فَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَـٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئۡرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصۡرٍ مَّشِيدٍ)[١] .

٣- العلم بأن النعم أمانة وأن الإنسان مسئول عنها يوم القيامة فيما عمل فيها : (ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ)[٢] .

٤- العلم بأن الدنيا دار عمل ، وليست دار جزاء .. فما من نعمة فيها إلا وهى اختبار وابتلاء : (وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةً)[٣].. فيجب أن تُستخدم فيما خُلقَت له ، وليس للاختيال أو الافتخار .

٥- العلم بأن الله سبحانه وتعالى لا يجب عليه شىء ، فلا تُعْجَب بطاعتك وعبادتك وعملك للخير ، فقد لا يوافق القبول ، أو يفسده بعض الرياء ، أو الْمَنّ والأذى .. وقد قال النبى (ﷺ) : (**لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ ، قَالُوا : وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟! قَالَ : لا ، وَلا أَنَا إِلاَّ أَنْ يَتغَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ**)[٤] ..

٦- العلم بأن المقياس فى التفاضل بين الناس هو التقوى ، وليس أى شىء آخر : (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَـٰكُمۡ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)[٥] .

---

[١] سورة الحج آية ٤٥ . [٢] سورة التكاثر آية ٨ . [٣] سورة الأنبياء آية ٣٥ .
[٤] رواه البخارى كتاب المرضى . [٥] سورة الحجرات آية ١٣ .

الغُـــرُور

« الغُرُورُ » : هو ركون النفس إلى ما يوافق الهوى ، ويميل إليه الطبع نتيجة خداع الشيطان للإنسان .. وهو مفتاح الشقاوات ، ومنبع المهلكات .. و« الغُرُورُ » فى اللغة : الخداع .. فالمغرور مخدوع يرى الشىء ويعتقده على خلاف ما هو عليه من غير سند أو دليل .. فكل من يعتقد أنه على خير أو صائر إلى خير فى العاجل أو فى الآجل نتيجة شبهة فاسدة أو خداعٍ من الشيطان فهو مغرور .

والغُـــرُور نوعان :

١- **غرور بالله** .. كما جاء فى قوله تعالى : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ)[1] .. (يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ)[2] .. (وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ)[3] .

٢- **غرور بالدنيا** .. كما جاء فى قول الله تعالى : (وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ) [4] ..

وقد وصف الله تبارك وتعالى الغرور بالدنيا بقوله : (ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ

---

[1] سورة فاطر آية ٥ . [2] سورة الانفطار آية ٦ . [3] سورة الحديد آية ١٤ .

[4] سورة آل عمران آية ١٨٥ .

ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ)[1] .. وأوضح سبحانه هذا الغرور – وهو الرضا بالدنيا والاطمئنان بـها والركون إليها – بقوله : (إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ)[2] .. كما أوضح سبحانه علامة الغرور بالله ، وهى عدم الخوف من الموت بقوله : (قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ)[3] .

ومن الطبيعى أن يخاف الإنسانُ الموتَ .. فمَنْ كان خوفه من الموت يَرْجِعُ إلى أنه سيحرمه من ماله وجاهه – أى من متع الدنيا عمومًا سواء أكانت مباحة أم ممنوعة – فذلك الذى غرَّته الدنيا .. ومَنْ كان خوفه من الموت يَرْجِعُ إلى إحساسه بعدم كمال عمله وبالتقصير فيه ، فذلك ليس بمغرور ، وهو إحساس الصالحين .. ومَنْ كان لا يرهب الموت ولا يخافه ، فذلك : إما كافر بالبعث ، وإما مغرور بالله تَمَـنَّى على الله الأمانى ، وخدعته نفسه ، وظن أنه من الصالحين المقبولين ، وغاب عنه أن الله لا يجب عليه شىء .. ومن الناس من يعتقد أنه على علاقة طيبة بالله ، ودليله على ذلك أن الله تبارك وتعالى يمنحه ما يريد ويعطيه ما يطلب ، ويرتكن إلى ذلك فيُفَرِّط فى الطاعات ، والدليل على فساد ذلك الاعتقاد قول الله تبارك وتعالى لأمثال هؤلاء : (أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ

[1] سورة الحديد آية ٢٠ . [2] سورة يونس آية ٧ . [3] سورة الجمعة آية ٦ .

بَل لَّا يَشْعُرُونَ)[1] .. وقوله : (فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ)[2] .. ويؤكد ذلك قوله : (وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ)[3] .. وقوله : (سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ)[4] ..

وعليه .. إذا رأيت الله مُنْعِمًا على عبد ، وهو مقيم على معصيته ، فاعلم أن ذلك استدراج منه سبحانه .. وقد كان السابقون إذا أقبلت الدنيا على أحدهم خاف وارتعد وبكى ، وقال : ذنب عُجِّلَت عقوبتُه .. وإذا انصرفت عنه الدنيا قال : مرحبًا بشِعَار الصالحين .. أما المغرور فإذا أقبلت عليه الدنيا ظن أنـــها كرامة له من الله ، وإذا صُرِفَت عنه ظن أنه هَوَانٌ : (فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ)[5] .. وحين سُئِل رسول الله (ﷺ) : أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً ؟ قَالَ : (**الأَنْبِيَاءُ ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ ، يُبْتَلَى الْعَبْدُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلاؤُهُ ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ** [6] **ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَمَا يَبْرَحُ** [7] **الْبَلاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ**)[8] .. فالذى يَرْكَن إلى أن الله

---

[1] سورة المؤمنون الآيتان ٥٥ ، ٥٦ .
[2] سورة الأنعام آية ٤٤ .
[3] سورة آل عمران آية ١٧٨ .
[4] سورة الأعراف الآيتان ١٨٢ ، ١٨٣ .
[5] سورة الفجر الآيتان ١٥ ، ١٦ .
[6] رقة : ضعف .
[7] فما يبْرح : فما يـــزال .
[8] رواه ابن ماجه كتاب الفتن .

تبارك وتعالى يبسط له الرزق ، أو يعطيه ما يطلب ، فيعتقد بذلك أن علاقته بالله طيبة ، وأنه صائر إلى خير – مخدوع ، ومغرور بالله .. فالله تبارك وتعالى يُعطى الدُّنيا لِمَنْ يُحِب ولِمَنْ لا يُحب ، ولكنه لا يُعْطى الدِّين إلا لِمَنْ أحبَّ .. فمن أعطاه الله الدين فقد أحبَّه .. وعلامة ذلك : التوفُّق للطاعات ، مع الخوف من عدم القبول لعدم تمامها ، أو لعدم كمالها .. وملازمة ذلك له حتى الموت ..

عِـــلاجُ الْغُـــرُور :

لكل مِنَّا طريق يوصله إلى الله أو باب يدلف منه إلى هذا الطريق ، والسعيد مَنْ يعرف بابه ، فيدخل منه ، وينجو بفضل الله وتوفيقه .. وكلما أضاء القلب بنور الإيمان وسَلِم من الأمراض كانت معرفة الباب سهلة مُيَسَّرة ، فالله تبارك وتعالى يقول : (وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ)[1] .. **فالْحَاكِم** بابه العدل بين الرعية .. **والقَاضِى** بابه الفصل بين الناس بالحق .. **والغَنِىُّ** بابه الإنفاق فى وجوه الخير .. **وصاحب الجاه** بابه إيصال صوت المظلومين الضعفاء إلى أسماع المسئولين ، والتوسط فى قضاء حوائجهم ..

ومَنْ لم يعرف بابه ويطرق أبوابًا أخرى ، فهو مغرور مخدوع .. وأمثال هؤلاء :

١- الحاكم الذى يقضى ليله ونـــهاره فى العبادة ، وهو غافل عن أحوال الرَّعية .. فلا تنفعه عبادته .

٢- القاضى الذى يشغل نفسه بقراءة القرآن ، والذهاب إلى المساجد فى غير أوقات الفرائض ، وقد أهمل القضايا فلا يدرسها أو يبحثها كما يجب ،

---

[1] سورة التغابن آية ١١ .

فيقضى بغير علم ، أو يؤجلها المرة تلو المرة ، فيتأخَّر حصول صاحب الحق على حقه .

٣- الغنى الذى يبنى القُصُور ويملؤها بأفخر الأثاث ، والتحف مكتفيًا بإخراج زكاة ماله ، ثم يحج بيت الله الحرام عامًا بعد عام ، وقد أحيط قصره بالجياع والذين لا يجدون ما يسترهم ، أو يقيهم برد الشتاء .

٤- صاحب الجاه والحظوة الذى يستغل جاهه فى الحصول على مطالبه ومطالب أولاده ، ولا يعود بجاهه على الضعفاء والمقهورين ، ولا ينفعهم به ، ويكتفى بمصاحبة العلماء والشيوخ ليستكمل جاه الدنيا بجاه الدين .. والنبى (ﷺ) يقول مُنَبِّهًا : (**مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ** [١] **ظَهْرٍ** [٢] ، **فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لا ظَهْرَ لَهُ ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَاد ، فَلْيَعُدْ بِه عَلَى مَنْ لا زَادَ لَهُ**)[٣] .. ويقول (ﷺ) : (**كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**)[٤] ..

الْكِــبْرُ

« الكِبْرُ » : هو إحساس الشخص بأن منـــزلته الدينية أو الدُّنْيَوِيَّة أعلى من منـــزلة غيره ، وأن رتبته تفوق رتبة غيره .. ثم يَرْكَن إلى هذا الإحساس ، ويعتقده بقلبه ، ويستريح إليه ، وتتعاظم نفسه فى عينيه فلا يرى سواها .. ويتأصل المرض فى قلبه .. ثم تظهر آثاره على الجوارح فيمشى مُخْتالاً فَخُورًا ، ويُصَعِّرُ خَدَّه للناس ..

---

(١) الفضل : الزيادة على الحاجة .

(٢) الظَّهْر : ما يُرْكب عليه من الدواب .

(٣) رواه مسلم كتاب اللقطة .

(٤) رواه البخارى كتاب النكاح .

ثم يظهر الأثر بعد ذلك على اللسان فيتفاخر : بعلمه ، أو بنسبه ، أو بعبادته .. ويقع فى محظورات لا عد لها ولا حصر ..

والكِبْرُ مَذْمُومٌ فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم ، مُهَدَّدٌ أصحابه بسوء المصير .. مثل : ﴿ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾[1] .. ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ﴾[2] .. ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾[3] ..

دَرَجــات الكِبْر :

١- أن يكون الكِبْرُ مَرَضًا مُسْتَبْطِنًا فى القلب ، ولا يظهر أثره على الجوارح أو اللسان ، ولا يشعر به الناس ، ومع ذلك يوصف صاحبه به ويحاسب عليه .. كما جاء فى قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ﴾[4] .. ويقول النبى (ﷺ) : (**لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِه مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ** [5] **مِنْ كِبْرٍ**)[6] .. ويقول : (**يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ** [7] **فِي صُوَرِ الرِّجَالِ ، يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ**)[8] ..

---

[1] سورة الزمر آية ٧٢ .
[2] سورة الأعراف آية ١٤٦ .
[3] سورة الأعراف آية ٤٠ .
[4] سورة غافر آية ٥٦ .
[5] الخردل : نبات ذو حَبّ متناه فى الصغر .
[6] رواه الترمذى كتاب البر والصلة .
[7] أمثال الذر : أى فى الصغر والحقارة .. و« الذَّرّ » : النمل الأحمر الصغير .
[8] رواه الترمذى كتاب صفة القيامة .

٢- أن يظهر أثر الكِبْر على الجوارح فيراه الناس ويشعروا به كأن يُصَعِّر خدَّه للناس ، أو يَعْبِس فى وجوههم ، أو يمشى بينهم مُخْتالاً فخورًا بنفسه ، أو يمشى فى الأرض مرحًا .. وقد جاءت هذه العلامات واضحة فى القرآن ، إذ يقول الحق تبارك وتعالى : (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ)[1] .. ويقول الرسول (ﷺ) : (**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَجُرُّ إِزَارَهُ مِنَ الْخُيَلاءِ خُسِفَ بِهِ ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ** [2] **فِي الأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**)[3] .. ويقول (ﷺ) : (**مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**)[4] .. ويقول : (**مَنْ تَعَظَّمَ فِي نَفْسِهِ ، أَوِ اخْتَالَ فِي مِشْيَتِهِ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**)[5] ..

٣- أن يظهر أثر الكِبْر على اللسان فيتفاخر : بنفسه ، أو بعمله ، أو بقوَّته ، أو بعِلْمِه ، أو بعبادته .. ويتعالى على الناس بذلك .

أنــواع الكِــبْر :

للكبر أنواع ثلاثة :

١- **التكبُّر على الله** .. وهذا هو أفحش أنواع الكِبْر ، ولا يصيب إلا الطغاة والجبارين : كفرعون ، وهامان ، والنمروذ ، ومَنْ كان على شاكلتهم .. وهذا الصنف من الناس يستنكف أن يكون عبدًا لله .. وقد يبدو هذا القول

---

[1] سورة لقمان آية ١٨ .
[2] يتجلجل : يغوص ويضطرب .
[3] رواه البخارى كتاب أحاديث الأنبياء .
[4] رواه البخارى كتاب المناقب .
[5] رواه أحمد مسند المكثرين من الصحابة .

غريبًا ، ولكن الغرابة تزول بضرب الأمثال .. **والمثل الأول** : هو « فرعون » إذ يحكى القرآن الكريم عنه قوله : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي)[1] .. وكذلك : (فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ)[2] .. وكذلك : (أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓ)[3] .. وهذه الأقوال تدل على استنكافه أن يكون عبدًا لله ، أو أن يكون للناس إله غيره .. فهو لم يستكبر على « موسى » – كما فعل قومه – ولكنه نفى وجود إله لهم غيره ، ورأى أنه الإله الأوحد المستحق للعبادة والطاعة ، واستنكف أن يكون عبدًا بعد ما كان إلـــهًا ..

والمثل الثاني : هو النمروذ الذى يحكى عنه القرآن : (أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُ)[4] .. وهذا المتكبر على الله صار مثلاً لكل متكبر فى الأرض ، إذ يطلق الناس على أمثاله كلمة « نمرود » .. وبالمقابل لو نظرنا إلى ما يجب أن يكون عليه العباد الذين أضاء الله قلوبـــهم بنور معرفته لوجدنا الحق تبارك وتعالى يقول فى شأنـــهم : (لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعًا)[5] ..

---

[1] سورة القصص آية ٣٨ . [2] سورة النازعات الآيتان ٢٣ ، ٢٤ . [3] سورة الزخرف آية ٥١ .
[4] سورة البقرة آية ٢٥٨ . [5] سورة النساء آية ١٧٢ .

٢- **التكبُّر على الرُّسُل** .. والمصابون بـــهذا الدَّاء يمتلئ القرآن بأمثلة لهم ، منها : (فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ)[1] .. (قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ)[2] .. (قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٞ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمۡ عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُكُمۡ)[3] .. (وَلَئِنۡ أَطَعۡتُم بَشَرٗا مِّثۡلَكُمۡ إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ)[4] .. (وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ)[5] .. وهؤلاء جميعًا لم يستكبروا على الله تبارك وتعالى ، فقد اعترفوا بوجوده و لم ينكروه ، ولكنهم استكبروا على رسلهم .. وهذان الصنفان من الناس : المتكبرون على الله ، والمتكبرون على الرسل تَكْمُن خطورة مرضهم عليهم فى أنـــهم يصمون آذانـــهم عن سماع الحق فلا يهتدون إليه .. **وهم فى ذلك ينقسمون إلى قسمين :**

(أ) قسم يمتنع عن السماع أصلاً : وهؤلاء هم الضالون ، وفيهم يقول الحق تبارك وتعالى : (وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ)[6] .. ويقول : (وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا)[7] ..

(ب) قسم يستمع ويتبين له الحق فلا يتبعه استكبارًا : وهؤلاء هم المغضوب عليهم ، وفيهم يقول الحق تبارك وتعالى : (فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ

[1] سورة المؤمنون آية ٤٧ .
[2] سورة يس آية ١٥ .
[3] سورة سبأ آية ٤٣ .
[4] سورة المؤمنون آية ٣٤ .
[5] سورة الزخرف آية ٣١ .
[6] سورة فصلت آية ٢٦ .
[7] سورة نوح آية ٧ .

هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ)[1] .. ويقول : (ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)[2] .. إذًا فقد عرفوا الحق وتيقنوا منه ، ومنعهم الكِبْرُ من اتِّباعه .. فالكِبْر : إما يمنع من الاستماع أصلاً فيؤدِّى إلى الضلال .. وإما يمنع من الانقياد بعد السماع ، فيؤدِّى – والعياذ بالله – إلى غضب الله .. من أجل ذلك استحقوا ما قضاه الله عليهم بقوله : (سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ)[3] ..

٣- **التكبُّر على الناس** .. والمصابون بهذا الدَّاء يتكبرون على أقرانهم ، فضلاً عمن هم أقل منهم شأنًا ، ويحرمون بذلك من أخلاق المؤمنين مثل : التواضع ، وكظم الغيظ ، والعفو ، وبسط الوجه ، ويدعوهم الكِبْرُ إلى الجدال ، والمراء لإفحام الخصم ، وإلى ازدراء غيرهم واحتقارهم .. ونبينا (ﷺ) يقول : (**بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ**)[4] .. وقد غفل هذا الصنف من الناس عن أن منازل العباد عند الله لا يعلمها سواه ، وأن درجاتهم فى الدنيا قد قسمها الله .. كما أنهم وقعوا فى خَطَرٍ دَاهِم

---

[1] سورة النمل الآيتان ١٣ ، ١٤ . [2] سورة البقرة آية ١٤٦ . [3] سورة الأعراف آية ١٤٦ .

[4] رواه مسلم كتاب البر والصلة .

وشَرٍّ مَاحِق ، إذ نازعوا الله حقه ، وشاركوه سلطانه .. فهو المتكبِّر بحق ، القائل فى حديثه القدسى : (**الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي ، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي ، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ**)[1] ..

ما يكـــونُ به التكَـــبُّر :

يلزم للمتكبر أن يكون لديه ما يتكبر به : فمنهم من يتكبَّر بعلمه ، أو بعبادته وما يتعلق بأمور الدين ، ومنهم من يتكبر بأمور الدنيا كالمال ، أو الجاه ، أو الجمال ، أو القوَّة ، وكثرة الأتباع ، وما إلى ذلك .. وإليك البيان :

١- التكـــبُّر بالعِلم :

ويكون ذلك بأن ينظر المتعلم إلى الناس من عُلُوٍّ ، ويرى لنفسه منـــزلة ليست لهم ولا يمكن أن يبلغوها : فإذا وَعَظَ عَنَّف .. لا يعرف الرفق سبيلاً إليه .. يغضب إذا ردَّه أحد ، ويثور إذا انتقده آخر .. يحفظ ما ورد عن النبى (ﷺ) فى فضل العلماء ، ولا يمل من ترديده على مسامع الآخرين مثل : (**فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِد كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ**)[2] .. (**فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ سَبْعِين دَرَجَة ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**)[3] .. لا يقول ذلك تعليمًا ، وإنما للافتخار على الناس بعلمه معتقدًا أنه أَهْلٌ لتلك المنازل العليا ، فينتظر من الناس أن يُعَظِّموه ويُوَقِّروه ..

وأسباب إصابة هذا الذى ظن نفسه عالِمًا بـــهذا المرض الخطير تتلخص فيما يلى :

---

[1] رواه أبو داود كتاب اللباس . [2] رواه الترمذى كتاب العلم . [3] رواه أبو يعلى الموصلى فى مسنده .

(أ) أن يكون قد نال من العلم قشوره ، و لم يصل إلى حقيقة العلم ، فلو وصل إلى حقيقة العلم لَعَلِم أن أشرف العلوم على الإطلاق هو العلم بالله .. ولو كان عالِمًا بالله وبصفاته لعلم أنه هو – سبحانه وتعالى – الْمُتَكَبِّر بحق .. ولعلم أنه مهما نال من علوم فهو من فضل الله عليه : (عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)[1] .. ولَعَلِمَ أنه مُعَرَّض للنسيان والوهم وذهاب العقل ، ولو عرف نفسه على حقيقتها لعلم أن أوَّله نُطْفَة مَذِرَة ، وآخِره جيفَة قَذِرَة ، وهو بينهما يَحْمِلُ العَذِرَة .. من هنا كان جهله بنفسه وبِرَبِّه سببًا فى إصابته بمرض الكِبْر .. بالإضافة إلى أنه غفل عن أن العلم يلزمه فَهْم .. وكما أن العلم فضل من الله ، فكذلك الفَهْم منحة من الله ، كما يُشْعِرنا بذلك قوله تعالى : (وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَـٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَـٰهَا سُلَيْمَـٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ)[2] ..

(ب) أن يكون قد تعلَّم العلمَ قبل أن يهذِّب نفسه ويُزَكِّيها .. فلم يُعَلِّمه عَالِم ، و لم يُؤَدِّبه شيخ ، و لم يُرَبِّ هو نفسه ، إذ إن الأدب يسبق العلم .. فكما ينـــزل الماء من السماءِ عَذْبًا صافيًا فتشرب منه الأشجار بجذورها وعروقها فتُحَوِّله على قدر طعومها : فيزداد الْحُلْوُ حلاوة ، ويزداد الْمُرُّ مرارة .. فكذلك العلم ينـــزل من السماءِ نورًا صافيًا لأنه من الله ، بدليل قول الحق

---

[1] سورة العلق آية ٥ . [2] سورة الأنبياء الآيتان ٧٨ ، ٧٩ .

تبارك وتعالى : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾[1] .. ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[2] .. ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[3] .. ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾[4] ..

فالعلم كالغيث ينـــزل على قلوب الرجال صافيًا فتُحَوِّله القلوب على مقدار نقاءها وسلامتها ، أو مرضها وخبثها .. فيزداد المتكبر كِبْرًا ، ويزداد المتواضع تواضُعًا .. ويزداد الأصيل أصالة ، ويزداد الدَّنِيء دَنَاءة .. فمَنْ تَلَقَّى العلم قبل أن يُزكِّي نفسه ، ويطهرها ، وينظف قلبه ، ويداويه ، ويُعدّه لأن يكون طيِّبًا كالأرض الطيبة – نزل العلم على قلبه وهو خبيث مظلم فزاده خبثًا على خبث ، وظلامًا على ظلام ، ومثال ذلك على التحقيق ما جاء فى قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[5] ..

من أجل ذلك وَجَبَ على مَنْ أراد طريق العلم والعلماء أن يتأدب أولاً ، ويطهر قلبه من كل ما هو خبيث ، ومن كل مرض قد يكون مصابًا به : كالرِّيَاء ، والنفاق ، والعُجْب ، والكِبْر ، وما إلى ذلك .. من هنا كانت فائدة الشيوخ الْمُرَبِّين الذين هم أطباء القلوب ، القادرون على اكتشاف حقيقتها ، واكتشاف عيوبـــها ، وكيفية علاجها .. وخير مثال لذلك

---

(1) سورة البقرة آية ٣١ . (2) سورة طه آية ١١٤ . (3) سورة العلق آية ٥ .
(4) سورة النساء آية ١١٣ . (5) سورة التوبة الآيتان ١٢٤ ، ١٢٥ .

سيد الخلق (ﷺ) الذى يقول : (**أدَّبَنِى رَبِّى فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي**)[1] .. ومما قاله له ربه فى هذا المجال : (وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ)[2] .. (وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ ۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ)[3] .. وقد أدَّبَ النَّبِىُّ (ﷺ) أصحابه بأدبه ، وأدَّبَ الأصحابُ تابعيهم .. وهكذا كان العلم يُتَلقى مشافهة بعد التأديب والتهذيب .. ومن ضمن التأديب أن يتأدب العَالِمُ بالتواضع لله الذى مَنَّ عليه بالعلم ، وأن يعلم أن المانح مانع ، ولا يغفل عن قول الله تبارك وتعالى لسيد الخلق وأعلمهم : (وَلَئِن شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيۡنَا وَكِيلاً)[4] .. وكذلك يَتَنَبَّه لقصة سيدنا « مُوسَى » عليه السلام التى قَصَّها علينا رسول الله (ﷺ) ، إذ كان فى ملأ من « بنى إسرائيل » فسأله سائل : هل هناك مَنْ هو أعلم منك يا « مُوسَى » ؟ قال : لا ، فأوحى الله إليه : بلى عبدنا « خَضِر » .. فسأل سيدنا « مُوسَى » ربه الطريق إليه حتى يلتحق به .. وهكذا كانت رحلة سيدنا « مُوسَى » مع سيدنا « الْخَضِر » التى وردت فى سورة « الكهف » .. وحين أجاب سيدنا « موسى » السائل بأنه لا يوجد مَنْ هو أعلم منه لم يكن ذلك كِبْرًا ولا فَخْرًا ، ولكنه اعتقد أنه ما دام رسول زمانه فلا وحى إلا عن طريقه ، ولا علم إلا من خلاله ، فأراد الله تبارك وتعالى أن يبين له أن الأمر له وحده ، وأنه كان يجب عليه

---

[1] رواه أبو سعد السمعاني فى أدب الإملاء من حديث ابن مسعود ، والعسكرى فى الأمثال .
[2] سورة الحجر آية ٨٨ . [3] سورة آل عمران آية ١٥٩ . [4] سورة الإسراء آية ٨٦ .

أن يُرْجِعَ العلم إلى الله ..

٢- التكــبُّر بالعِبَادَة :

ويكون ذلك بأن ينظر العبد إلى عمله ، ويعجب به ، ويظن أنه قد عمل ما لَمْ يعمله سواه ، وينسب ذلك إلى نفسه ، فيُصاب قلبه بداء الكِبْر فيحبط عمله ويهلك ، لأن الله تبارك وتعالى هو الموفق للعمل الصالح .. بل هو المانح للصحة والفراغ لأداء هذه الأعمال ، ولو شاء لشغله بــهموم لا قِبَل له بــها ، ولشتت قلبه ، أو لأصابه بأمراض وأسقام تمنعه من أداء الفرائض فضْلاً عن النوافل ، فكيف - والأمر كذلك - يتكبر بشيء ليس له فيه فضل ؟! .. والأخطر من كل ذلك أن ينظر المتكبِّر - بعبادته - إلى الناس باعتبارهم هلكَى لأنــهم عصاة ، أما هو فناج لأنه عابد .. وقد غَفَل عن قول النبى (ﷺ) : (**إِذَا قَالَ الرَّجُلُ : هَلَكَ النَّاسُ ، فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ**)[1] .. وكذلك غفل عن قوله (ﷺ) : (**لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ ، قَالُوا : وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟! قَالَ : لا ، وَلا أَنَا إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ**)[2] ..

وكتاب الله الكريم يشير إلى أنه ما من نبي إلاَّ ونجا برحمة الله ، وليس بعمله أو بفضله .. كما جاء فى قوله تعالى : (فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا)[3].. (وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا)[4] .. (فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا)[5] .. (وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا

---

[1] رواه مسلم كتاب البر والصلة . [2] رواه البخارى كتاب المرضى . [3] سورة الأعراف آية ٧٢ .
[4] سورة هود آية ٥٨ . [5] سورة هود آية ٦٦ .

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٍ مِّنَّا ﴾[1] ..

هذا بالإضافة إلى أن الطاعات بحسب ظواهرها شىء ، وبحسب حقيقتها شىء آخر .. فَرُبَّ معصية أورثت ذُلاًّ وانكسارًا خير من طاعة أورثت عِزًّا واستكبارًا .. ولعل عاصيًا ندم على معصيته فندمه يُنجيه ، ولعل طائعًا وتكبره بطاعته يُرديه .. والأمثلة على ذلك كثيرة ، كقصة الرجلين من بنى إسرائيل[2] اللذين كان أحدهما عابدًا والآخر عاصيًا ، فتكبر العابد على العاصى وعنَّفه وحكم عليه بأنه لن يدخل الجنة .. فدخل العابد النار ، ودخل العاصى الجنة .. وقصة الرجل[3] الذى أمر أبناءه بحرق جُثَّته بعد موته خوفًا من الله ، فأدخله الله الجنة .. كل ذلك وغيره قَصَّهُ النبى (ﷺ) على أصحابه ليؤدِّبهم ويعلِّمَهم أن العمل غير مضمون ، وأن العِبْرة بالخواتيم .. وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ..

٣- التكـــبُّرُ بِالْحَسَبِ والنَّسَب :

ويكون ذلك بالتعالى على الناس - ولو كانوا أرفع منه عِلْمًا وعملاً - بمنـــزلة الآباء وعلو شأنــــهم فى الدين أو فى الدنيا .. وقد رُوِىَ أن أبَا ذَرٍّ الغِفَارىّ (رضي الله عنه) شُوهِدَ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ[4] وَعَلَى غُلامِهِ حُلَّةٌ مِثْلُهَا ، فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ !! فَقَالَ : إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلاً فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ ، فَقَالَ لِيَ النَّبِيُّ (ﷺ) : (**يَا أَبَا ذَرٍّ ، أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ ؟! إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ .. إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ**[5]، **جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ ، وَلا تُكَلِّفُوهُمْ مَا**

---

[1] سورة هود آية ٩٤ .
[2] ، [3] انظر كتابنا « من الأحاديث القدسية »
[4] الحلة : ثوب من قطعتين .
[5] خولكم : خدمكم ، وعطية الله لكم .

يَغْلِبُهُمْ [١] ، **فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ**)[٢] .. ولقد ورد أن رسول الله (ﷺ) قال : (**انْتَسَبَ رَجُلانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى عَهْدِ « مُوسَى » عَلَيْهِ السَّلام : أَحَدُهُمَا كَافِرٌ ، وَالآخَرُ مُسْلِمٌ .. فَانْتَسَبَ الْكَافِرُ إِلَى تِسْعَةِ آبَاءٍ ، فقال الْمُسْلِمُ : أَنَا فُلانُ ابْنُ فُلانٍ ، وبَرِئْتُ مِمَّنْ سِوَاهُمْ .. فَخَرَجَ مُنَادِي مُوسَى يُنَادِي : أَيُّهَا الْمُنْتَسِبَان قَدْ قُضِيَ بَيْنَكُمَا ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا الْكَافِرُ ، أَمَّا أَنْتَ فَانْتَسَبْتَ إِلَى تِسْعَةِ آبَاءٍ كُفَّارٍ ، وأَنْتَ عَاشِرُهُمْ فِي النَّارِ .. وأَمَّا أَنْتَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ ، فَقَصَرْتَ عَلَى أَبَوَيْنِ مُسْلِمَيْنِ ، وَبَرِئْتَ مِمَّنْ سِوَاهُمْ ، فَأَنْتَ مِنْ أَهْلِ الإِسْلامِ ، وَبَرِئْتَ مِمَّنْ سِوَاهُمْ**)[٣] ..

وإذا كان الإنسان خسيسًا فكيف يرفع قدره بالنَّسَب أو الْحَسَب ؟! .. وقد قال أحد الشيوخ لرجل افتخر بأصله : (**أنا أعلمُ بأصلكَ وفَصْلكَ .. أما أصْلُكَ : فيُدَاسُ بالأقدامِ .. وأما فصلك : فتغسل منه الأبدانُ**) .. مشيرًا إلى أن الأصل : هو التُّرَاب الذى يُدَاس بالأقدام ، والفصل : هو الْمَنِىّ الذى تغسل منه الأبدان ، فهذا هو الإنسان : خُلِق من تُرَاب ، ثم من نُطْفَة ..

٤- التكــبُّرُ بالْجَمَال :

ويكون هذا المرض فى النساء أكثر وأظهر منه فى الرجال .. فمن طبيعة المرأة أن تُعْجَب بجمالها ، وتَخْتَال به على مَنْ هى دونــها ، وليس جمال الجميل بفعله فيُحْمَد عليه .. ولا قُبْح القبيح بذنبه فيُلاَم عليه .. وإنما الخالق هو الله تبارك وتعالى القائل :

---

[١] ما يَغْلبهم : ما يعجزهم القيام به .
[٢] رواه البخارى كتاب الإيمان .. ومسلم كتاب الإيمان .
[٣] رواه البيهقى فى شعب الإيمان .

(هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ)[1] .

٥- التكــبُّرُ بالْمَــال :

ويكون بسبب جهل صاحبه بأن المال ليس صفة ذاتية : كالقوة البدنية ، أو الجمال ، أو العلم .. وإنما هو صفة عارضة يأتى ويذهب ، وقد يزول فى لحظة .. ومثال ذلك من القرآن : (وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَـٰبٍ وَحَفَفْنَـٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَـٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَـٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا)[2] .. فهذا رجل آتاه الله من المال أَطْيَبَه ، ووَسَّع عليه ، وبدلاً من أن يشكر نعمة الله تكبَّر بماله على مَنْ لا مال له .. فكان عاقبة كِبْره أن أفقده الله ما أعطاه فى لحظة ، كما يحكى القرآن الكريم : (وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا)[3] .. وهناك مثال آخر حكاه القرآن عن أصحاب البساتين الذين اختالوا بالنعمة ، واعتَبَروا أنــهم مستحقون لها ، و لم يُخرجوا حق الفقراء فيها ، بل وقَرَّرُوا أن يحصدوها سِرًّا حتى لا يراهم أحد فيسألهم مما أعطاهم الله ، فكان نتيجة ذلك أن فقدوها فى ليلة واحدة : (فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ)[4] .. ومثال ثالث عن نتيجة التكبر بالمال ألا وهو ما حدث لــ « قارون »

---

[1] سورة آل عمران آية ٦ . [2] سورة الكهف الآيات من ٣٢ : ٣٤ . [3] سورة الكهف آية ٤٢ .
[4] سورة القلم الآيتان ١٩ ، ٢٠ .

حين خرج على قومه فى زِينَتِهِ مُخْتَالاً فَخُورًا : (فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ)[1] ..

٦- التكــبُّرُ بالقُــوَّة :

ويكون بقوة الجسد أو ضخامته ، وهو جهل ما بعده جهل !! إذ يتكبر الإنسان بصفة سبقته إليها البهائم : فالثور أقوى منه ، والبَغْل أضخم منه .. كما أنه لا يأمن استمرار قوته ، فهى مُعَرَّضة للزوال !! والإنسان – بصفة عامة – مُعَرَّض للأمراض والأسقام ، والعجز ، والشيخوخة ، ثم إن هذا المتكبر بقوته البدنية إذا ما دخلت نملة فى أُذُنِه أهلكته ، وإن أصابت قدمه شَوْكَة أعجزته ..

٧- التكــبُّرُ بالأتباع والجنود :

ويكون ذلك فى زعماء الدول الذين يجعلون من أفراد شعوبــهم وقودًا لنيران حروبــهم تَكَبُّرًا بما لديهم من كثرة العَدَدِ ، أو تطور العُدَدِ وهو ما يؤدى بــهم وبأممهم إلى الدمار والخراب .. وهذا تكبر بشىء غير ذاتى وغير مضمون ، إذ هم مُعَرَّضُون لأن تتخلى عنهم شعوبــهم فى أقل من ثوان ..

عِــلاَجُ الكِــبْر :

علاج الكِبْر يكون بأمر واحد ألا وهو : **أن يعرف الإنسان نفسه** ، لأنه إذا عرف نفسه عرف رَبَّه وعلم أنه هو – عز وجل – المتكبِّر بحق .. وأن الكِبْر لا يليق بالمخلوق الذى لا يملك من أمر نفسه شيئًا .. ومعرفة النفس تتأتى بالتفكر فى المبدأ

---
[1] سورة القصص آية ٨١ .

والمعاد : كيف نشأ ؟! .. وكيف يستمر فى البقاء ؟! .. وكيف تكون النهاية ، وما يعقبها من بعث وحساب وجزاء ؟! .. وخير دليل لنا فى معرفة نفوسنا هو (القرآن الكريم) الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه : (هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا)[1] .. (قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ)[2] .. والآيات تبين أن الإنسان كان معدومًا والكون موجود ، فقد كان الله و لم يكن شَىء .. وليس هناك أخس من العدم ، لأن الوجود فضل .. ودرجات الوجود تتفاوت ، فالموجود العاقل أعلى رتبة من الموجود غير العاقل .. والموجود الذى يستمد وجوده من غيره أدْنَى رتبة من الموجود الذى يستمد وجوده من ذاته .. وهكذا إلى أن نصل إلى العدم الذى هو أخس المراتب .. كما أن الإنسان حين وُجد من العَدَم وُجد من أخس الأشياء ، ألا وهو التُّرَاب الذى يوطأ بالأقدام .. ثم من النطفة التى تغسل منها الأبدان ، وهكذا نرى أن الإنسان بدأ بعدمه قبل وجوده ، وبموته قبل حياته .. وبضعفه قبل قوته .. وبعماه قبل إبصاره .. وبصممه قبل سمعه .. وبعجزه قبل قدرته ... وبضلاله قبل هداه .. وصدق الله العظيم إذ يقول : (وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)[3] .. (ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ

---

[1] سورة الإنسان الآيتان ١، ٢ . [2] سورة عبس الآيات من ١٧ : ٢٢ . [3] سورة النحل آية ٧٨ .

ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً) [1] ..

وكذلك نجد أن الإنسان فى وجوده مرهون بأشياء خارجة عن ذاته وخارجة عن إرادته .. إذ إن وجوده غير مُستَمَد من ذاته : فهو محتاج إلى الطعام ، والشراب ، والهواء ، والدواء ، والنوم ، وهو فى هذا الوجود مُعَرَّض للأمراض ، والأسقام ، والأوجاع .. يُهلِك بَعْضُه بَعْضًا فى عمليات الاحتراق الداخلى ، شاء ذلك أم أَبى .. هذا بالإضافة إلى أنه يريد أن يتذكر الشىء فينساه ، ويريد أن ينسى الشىء فيذكره .. يريد أن يجمع قلبه ويفرغه لأمر يهمه ، فإذا به يذهب بعيدًا فى أودية الوساوس والخواطر والأفكار .. كل ذلك اضطرارًا وليس اختيارًا .. يحب الشىء وفيه هلاكه ، ويكره الشىء وفيه حياته .. يتلذذ بالأطعمة وهى تتلفه ، ويستبشع الأدوية وهى تنفعه .. وهو مُعَرَّض فى كل لحظة للخطر .. لا يأمن على نفسه لحظة من ليل أو نـهار : أن يَخْتَلّ عقله ، أو تُشَلّ أعضاؤه ، أو يُسْلَب سمعه ، أو يذهب بصره ، أو أن يُخْتَم على فِيه .. كما أنه بعد انتهاء أَجَلِه يُهَال عليه التراب ، ويسمع خَفْق نِعَال مُشَيِّعِيه ،وتأتيه الملائكة للسؤال فى قبره .. وليس هناك من يجيب عنه ، أو يُعينه ، أو يأخذ بيده .. بل يكون وحيدًا ، ويتحدد مصيره بإجابته : فإمَّا إلى رَوْضَة من رِيَاض الجنة ، وإمَّا إلى حُفْرَة من حُفَر النار .. وما هى إلاَّ أيام قليلة ويتحول جسده إلى رَوْثٍ فى جَوْف الدِّيدَان ، وإلى جِيفَة يَسْتَقْذِرُها الإنسان ، ويعافها الحيوان .. لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا .. فكيف يتكبر مَنْ هذا حَالُه ؟! ألاَ يجب عليه أن ينظر إلى قلبه ليداويه ويعالجه من الآفات ويُزَكِّيه ؟! ..

---

[1] سورة الروم آية ٥٤ .

ولكل نوع من أنواع الكِبْر علاج خاص به .. وإليك البيان :

١- الْمُتكـــبِّر بِعلْمِــه :

عليه أن يتذكر قول رسول الله (ﷺ) : (**يُجَاءُ بالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيامَةِ ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ ، فَتَنْدَلِقُ**[١] **أَقْتَابُهُ**[٢] **فِي النَّارِ ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ**[٣] ، **فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ : أَيْ فُلانُ ، مَا شَأْنُكَ ؟! أَلَيْس كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ ؟! قَالَ : كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلا آتِيهِ ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ**)[٤] .. فأَيّ عَالِم على ظهر الأرض لم يقع منه ذلك ولو مرة واحدة ؟! .. وليعلم أن حجة الله تبارك وتعالى عليه بالغة .. فما يقع من الجاهل لا يُقبل وقوعه من العَالِم .. وليتذكر فى ذلك قول الحق تبارك وتعالى : (مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا)[٥] .. فالله تبارك وتعالى يُشَبِّهُ حامل العلم الذى لا يعمل به بالْحِمَار .. وكذلك يُشَبِّهُهُ بالكَلْب فى قوله : (وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث)[٦] .. فهل للمتكبِّر بعلْمِهِ ضمان أن لا يكون مثل هؤلاء ؟! .. وهل خَلاَ من الذنوب ، أو سَلِم من العيوب ؟! ..

---

[١] تندلق : تقع وتسقط . [٢] أقتابه : أمعاؤه وأحشاؤه .
[٣] برحاه : بحجر الطاحون التى يديرها ، والمراد دورانه حول مربطه .
[٤] رواه البخارى كتاب بدء الخلق . [٥] سورة الجمعة آية ٥ .
[٦] سورة الأعراف الآيتان ١٧٥ ، ١٧٦ .

والحق تبارك وتعالى يقول : (فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ)[1] .. فإذا جلس مثل هذا العَالِم ليُعَلِّمَ غيره ، ويأمر وينهى فعليه أن يتذكر ذنوبه وخطاياه حتى يترفق بالمتعلمين .. ويتذكر أن العلم فضل من الله يؤتيه من يشاء .. وأن الخاتمة مجهولة ، والعاقبة غير معلومة ، فلا يدرى بِمَ يُختم له ، وكذلك بِمَ يُختم لِمَنْ يتكبر ويتعاظم عليه !! ..

٢- الْمُتكـــبِّر بعبادتـــه :

عليه أن يتذكر أن النبى (ﷺ) قال : (**لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ ، قَالُوا : وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟! قَالَ : لا ، وَلا أَنَا إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ**)[2] .. وأنه (ﷺ) قال : (**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَد إِلاَّ وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّة .. قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّه ، أَفَلا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ الْعَمَلَ ؟ قَالَ : اعْمَلُوا ، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ .. أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ**[3] .. **ثُمَّ قَرَأَ** : (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝)[4] .. فالعمل رزق ، والتوفيق إلى الطاعة كرامة من الله وفضل .. والجوارح والأعضاء التى تؤدى العبادة منحة من الله ونعمة ، ولو شاء لسلبها .. فكيف - والأمر كذلك - يتكبر العابد

---

[1] سورة الأعراف آية ٩٩ . [2] رواه البخارى كتاب المرضى . [3] رواه البخارى كتاب تفسير القرآن .

[4] سورة الليل الآيات من ٥ : ١٠ .

بعبادته ؟! .. كما أنه لا يعرف أعمال من يتكبَّر عليهم .. فالناس صنفان : صنف مستور لا تظهر طاعته ولا معصيته ، وهذا قد تقل ذنوبه وتزيد طاعته عما عند هذا المتكبر .. وصنف مكشوف قد تظهر بعض معاصيه ، ويكون له من الأعمال الْخَيِّرَة الخفية ما يُكفِّرُ الله بــها عن معاصيه .. وأوضح مثال لذلك ما ورد عن النبى (ﷺ) أنه قال : (**بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ ، فَنزَلَ بئرًا فَشَرِبَ منْهَا ثُمَّ خَرَجَ ، فَإِذَا هُوَ بِكَلْب يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى** [1] **منَ الْعَطَشِ ، فَقَالَ : لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذي بَلَغَ بِي ، فَمَلأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ ثُمَّ رَقِيَ ، فَسَقَى الْكَلْبَ ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ ، فَغَفَرَ لَهُ**)[2] .. وكذلك ما ورد أنه (ﷺ) قال : (**بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّة** [3] **قَدْ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِــيٌّ** [4] **منْ بَغَــايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا** [5] **فَاسْتَقَتْ لَهُ بِهِ ، فَسَقَتْهُ إِيَّاهُ ، فَغُفِرَ لَهَا بِهِ**)[6] .. كما قد يكون للمُتَكبِّرِ بعبادته من ذنوب القلب وآثامه ما يحبط عمله وعبادته .. فليتق الله ، وليتواضع بعبادته له ، ولا يتطاول بــها على أحد من خلقه .. وقد جاء فى الحديث القدسى : (**إِنَّمَا أَتَقَبَّلُ الصَّلاَةَ مِمَّنْ تَوَاضَعَ بِهَا لِعَظَمَتِى .. وَلَمْ يَسْتَطِلْ عَلَى خَلْقِى .. وَلَمْ يَبِتْ مُصِرًّا عَلَى مَعْصِيَتِى .. وَقَطَعَ نَهَارَهُ فِى ذِكْرِى .. وَرَحِمَ الْمِسْكِينَ ، وابْنَ السَّبِيلِ ، والأَرْمَلَةَ ، وَرَحِمَ الْمُصَابَ .. ذَلِكَ نُورُهُ كَنُورِ الشَّمْسِ .. أَكْلَؤُهُ بِعِزَّتِى ، وَأَسْتَحْفِظُهُ بِمَلاَئِكَتِى ، أَجْعَلُ لَهُ فِى الظُّلْمَةِ نُورًا ، وَفِى**

---

[1] الثرى : التراب الرطب . [2] رواه البخارى كتابى الأدب والمساقاة . [3] يُطِيفُ بِرَكِيَّــة : يَحُوم بيئر .
[4] بغى : زانية . [5] مُوقَها : خُفَّها . [6] رواه مسلم كتاب السلام .

الْجَهَالَة حِلْمًا .. وَمَثَلُهُ فِى خَلْقِى كَمَثَلِ الْفِرْدَوْسِ فِى الْجَنَّة)[1] ..

٣- الْمُتكــبِّر بِحَسَبه ونَسَبه :

عليه أن يتذكر قول الله عز وجل : (يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ)[2] .. وقوله : (فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ)[3] .. ويتذكر قول النبى (ﷺ) لعشيرته الأقربين : (**يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ ، لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّه شَيْئًا .. يَا بَنِي عَبْد مَنَاف ، لا أُغْنِي عَنْكُمْ منَ اللَّه شَيْئًا .. يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْد الْمُطَّلِبِ ، لا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّه شَيْئًا .. وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّه ، لا أُغْنِي عَنْك مِنَ اللَّه شَيْئًا .. وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّد ، سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي ، لا أُغْنِي عَنْك مِنَ اللَّه شَيْئًا**)[4] .. وإذا كان الْمُتكبِّرُ بِحَسَبِه ونَسَبِه ناقصًا فى صفاته ، فكيف يجبر نقصه بكمال غيره ؟! .. فعليه أن يتذكر أصله وفصله ، وأن أصله يُداس بالأقدام ، وفصله تغسل منه الأبدان !! ..

٤- الْمُتكــبِّر بجمــاله :

عليه أن يتذكر أن الجمال ليس للجميل فضل فيه فيُحْمَد عليه .. وأن القُبْح ليس للقبيح ذنب فيه فيُلاَم عليه ، وأن الجمال نِعْمَة لا تدوم .. وأن القبح فتنة وابتلاء .. وأن الله هو الذى يُصوِّرنا فى الأرحام كيف يشاء .. ولو نظر المتكبر بجماله إلى

---

[1] رواه الْبَزَّارُ عنِ ابنِ عَبَّاسٍ (رضى الله عنهما) .
[2] سورة عبس الآيات من ٣٤ : ٣٧ .
[3] سورة المؤمنون آية ١٠١ .
[4] رواه البخارى ، كتاب تفسير القرآن .

نفسه بشىء من التعقل والتعمق لوجد نفسه وعاء لكل ما هو مستقذر : فالرجيع فى أمعائه .. والبول فى مثانته .. والدم فى عروقه .. والْمُخَاط فى أنفه .. والصديد فى أُذُنه .. ولو ترك جسده يومًا واحدًا فلم يتعهده بالتنظيف لصار أنتـــن وأقذر من الكلاب الضَّالة ..

فسبحان من ستر القبيح بلطفه ، وأظهر الجميل بفضله ..

٥- الْمُتكـــبِّر بِمَـــالِه :

عليه أن يتذكر أنه متكبِّر بشىء خارج عن ذاته ، فالمال ليس صفة ذاتية .. وهذا من أقبح أنواع الكِبْر ، فهو يتكبر بشىء لا يدوم ، ولو زال عنه لعاد ذليلاً .. كما أن المال فتنة فى الدنيا ، وفى الآخرة محل سؤال ، وقد يكون وَبَالاً على صاحبه .. يجهد فى جمعه فى الدنيا ، ويشقى بِشُؤْمه فى الآخرة .. فليتق الله ربه ، وليعمل فى ماله بطاعة الله فَيُنْجِيه ، ولا يستكبر به فَيُرْدِيه ..

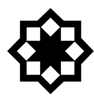
٦- الْمُتكـــبِّر بقـــوَّته :

عليه أن يتذكر أنه مهما بلغت قوته ، فمن البهائم والحيوانات ما هو أقوى منه وأشدّ ، فكيف يتكبر بصفة سبقته إليها البهائم .. كما أن هذه القوة لا تدوم ، فهو مُعَرَّض للأسقام والأمراض ، ومُعَرَّض للحوادث والمفاجآت ، وإذا لم يكن ذلك فمرور الأيام ينقص من قوته ، ويزيد من ضعفه : فتكبر سِنُّه ، ويهن عظمه ، وترتعش أطرافه ، وينحنى ظهره ، وتسقط أسنانه ، ويضعف بصره ، ويقل سمعه .. فعليه أن ينتبه لكل ذلك ، ويتذكر قول الله عز وجل : (وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى

ٱلۡخَلۡقِۚ أَفَلَا يَعۡقِلُونَ)[1] ..

٧- الْمُتكــبِّر بالأتبــاع والجنــود :

عليه أن يتذكر قول الله تبارك وتعالى : (هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ)[2] .. وقوله : (أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ)[3] .. وعليه أن يتيقَّن أن أتباعه وجنوده يتركونه عند قبره .. ولا يحمل أحد منهم عنه وِزْرَه .. وأن ولاءهم غير دائم .. فلو أنــهم وجدوا مَنْ هو أكثر منه نفعًا لانْفَضُّوا مِنْ حوله .. وإخلاصهم غير مضمون ، فقد تأتيه الطعنة من أقربــهم إليه .. وحوادث التاريخ خير شاهد على ذلك ، وصدق الله العظيم إذ يقول : (وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيۡرٌ أَمَلًا)[4] .



---

[1] سورة يس آية ٦٨ . [2] سورة البروج الآيتان ١٧ ، ١٨ . [3] سورة الفيل آية ١ .

[4] سورة الكهف آية ٤٦ .

وبعد ..

أيها القارئ الكريم ، فهذه خلاصة لأمراض اللسان والقلب .. أجملناها لك فى هذا الكتاب .. مُبتغين بذلك الأجرَ من ((الله)) وحده .. عاملين بقوله الكريم : (وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ)[1] .. فلا تجعل الكتاب يَعْزُب عن عينيك .. أو تُبْعِده عن مُتناول يديك .. فقراءته مرة واحدة لا تُغْنِى .. وإنما عليك بالعودة إليه .. مُتأنِّيًا فى قِرَاءته .. مُتأمِّلاً فيما جاء فيه .. عاملاً على علاج نفسك .. مُحاسِبًا لَهَا .. وصدق الله العظيم إذ يقول : (قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا)[2] .. وصدق رسول الله (ﷺ) إذ يقول : (**الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْت**)[3] .. وصدق « عمر بن الخطاب » (رضي الله عنه) إذ يقول : (**حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا ، وَتَزَيَّنُوا لِلْعَرْضِ الأَكْبَرِ ، وَإِنَّمَا يَخِفُّ الْحِسَابُ يَوْمَ الْقِيَامَة عَلَى مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا**)[4] .. وعليك أن تتذكر دائما أن : (**الْمَرْء بأَصْغَرَيْه : بِقَلْبِه ولِسَانِه**) .

اللَّهُمَّ زَكِّ نُفُوسَنَا .. أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا ..

أَنْتَ وَلِيُّها ومَوْلاَهَا .. لَكَ مَمَاتُها ومَحْيَاهَا ..

واغْفِرْ ذُنُوبَنَا .. واسْتُرْ عُيُوبَنَا .. وطَهِّرْ قُلُوبَنَا .. ونَوِّرْ قُبُورَنَا ..

واجْعَلْنَا هَادِينَ مُهْتَدِينَ .. واهْدِ بِنَا يَا رَبَّ العَالَمِينَ .. آمين

ياسين رشدى

---

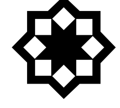
[1] سورة الذاريات آية ٥٥ . [2] سورة الشمس الآيتان ٩ ، ١٠ . [3] ، [4] رواه الترمذى كتاب صفة القيامة .

الكتاب القادم

٥ مِنْ أَخْلاَقِيَّاتِ الإسْلاَم

بِرُّ الوَالِدَيْن .. صِلَة الرَّحِم .. حُقُوق الزَّوْجَيْن .. تَرْبِيَة الأبناء .. النَّظَافَة .. الْحَيَـاء .. الْكَـرَم .. الأمَانَة .. العِفَّة .. التَّوَاضُع .. الوَفَاء .. الصِّدْق .. الإخَلاص .. الحِلْـم .. الصَّـفْح .. العَـدْل .. الأُخُوَّة فـى الله .. الإصْـلاَح بَـيْنَ النَّـاس .. النَّصِيحَة .. رِعَاية اليَتِيم والمِسْكِين .. الصَّبْـر ..

الفهـــرس



رقم الإيداع ٨٣٢٦ ١٩٩١

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 – 14 – 0090 – 8

مجموعة كتب

الطريق إلى الله

يُهدى ولا يُباع
جمعية المواساة الإسلامية
Site: www.mouassa.org
Email: mouassa1@hotmail.com

إصدارات

فضيلة الشيخ / ياسين رشدي

١- سلسلة كتب الطريق إلى الله (خمسة عشر كتابًا) .

٢- التفسير الجامع لمعاني القرآن الكريم .

٣- شرح كامل واف للأحاديث النبوية التي أوردها الإمام البخاري في صحيحه .

٤- مجموعة من الإجابات الواضحة على أسئلة في مواضيع شتى تَهُم المسلم في دينه ودنياه .

هذا .. والجدير بالذكر أن جميع الإصدارات السابقة متوفرة على شرائط مسموعة ومرئية وأسطوانات (cd) ، وموجودة أيضًا على الموقع الإلكتروني لجمعية المواساة الإسلامية www.mouassa.org

لجنة نشر الثقافة

جمعية المواساة الإسلامية بالإسكندرية

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ،،